

من الطريق الجهادي السريع إلى الملاذ الجهادي الآمن: سياسات تركيا الجهادية والأمن الغربي

أمر الله أوزلو



عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركزٌ مستقلٌّ، غيرُ ربحيٍّ، مقرّه الرئيس في بغداد. مهمته الرئيسة، فضلاً عن قضايا أخرى، تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بشكل خاص ومنطقة الشرق الأوسط بشكل عام. ويسعى إلى إجراء تحليل مستقلٍّ، وإيجاد حلولٍ عمليّةٍ جليّةٍ لقضايا معقدةٍ تهّم الحقلين السياسي والأكاديمي.

حقوق النشر محفوظة © 2016

www.bayancenter.org

info@bayancenter.org

من الطريق الجهادي السريع إلى الملاذ الجهادي الآمن: سياسات تركيا الجهادية والأمن الغربي

أمر الله اوزلو *

ملخص

إنّ الدعم التركي للجهاديين ليس مجرد تكتيك يهدف لتنحية بشار الأسد من السلطة، بل يستند إلى قرار استراتيجي يتبناه جانب من السلطات التركية للتأثير بشؤون الشرق الأوسط من خلال الفواعل من غير الدولة؛ كما فعلت إيران ذلك ردحاً من الزمن، فدعم تركيا للجهاديين في العبور إلى سوريا وتأسيسها روابط وثيقة مع حماس والإخوان المسلمين هو الوجه الآخر المتصل بتلك الاستراتيجية. سمحت السلطات التركية للمتعاطفين مع القاعدة باستخدام وسائل الإعلام التركية للترويج لمعتقداتهم. وقد تبنت السلطات لغة سياسية جديدة تغذي المشاعر المعادية لأمريكا والغرب، والمدعون الذين حاولوا منع شحنات الأسلحة من الوصول إلى الجماعات المنضوية إلى القاعدة في سوريا قد تم طردهم وفي بعض الحالات تم سجنهم، وفي الحقيقة من خلال تهريب الادعاء لعام والشرطة الوطنية التركية TNP لم تتم أي عملية لمكافحة الإرهاب لكبح شبكات القاعدة أو الأنشطة المتصلة بتجنيد مقاتلين جدد، ومنظمة الاستخبارات الوطنية التركية (TNIO) أعطيت المسؤولية الكاملة للتعامل مع الأنشطة الجهادية من دون أية رقابة فعالة وإحجام الشرطة عن المجازفة والدخول في شؤونهم، وكما أوضح أحد أعضاء حلف الناتو فإن السياسات الجهادية التركية تشكل تأثيراً مباشراً غير مباشر على الأمن الأوروبي، وتتناول هذه المقالة السياسات الجهادية التركية من خلال دراسة تصريحات المسؤولين والتقارير الإعلامية والمقابلات والعمل الميداني.

لقد كانت تركيا شريكاً أمنياً واستراتيجياً للغرب منذ الخمسينيات من القرن المنصرم، فهي تقع على الجانب الجنوبي من حلف الناتو وبحدودها المشتركة مع الاتحاد السوفيتي، وقد ساهمت تركيا بقواعد عسكرية ومنشآت وبجيش كبير ومدرب تدريباً جيداً في القدرات الدفاعية الغربية خلال الحرب الباردة ١٩٥٠. ومنذ انهيار الاتحاد السوفيتي، تغير الاهتمام الاستراتيجي التركي، إذ أصبحت تركيا قاعدة إقليمية تستخدمها الولايات المتحدة للتدخل في الأزمات الداخلية في المنطقة، مثل: العراق، والبلقان، وكما أوضح

1 - Muğge Kinacıoğlu and Aylin G. Guřzel, "Turkey's Contribution to NATO's Role in Post-Cold War Security Governance: The Use of Force and Security Identity Formation," Global Governance 19 (2013): 589-610 .

* مدرسة الشؤون الدولية والعامّة، جامعة فرجينيا الدولية.

مارك غروسمان، -سفير الولايات المتحدة في تركيا في تلك الحقبة- ”تركيا تعيش إلى جوار منطقة فيها التحدي بـ ٣٦٠ درجة“ فهي أصبحت دولة مواجهة بالنسبة لأوروبا والولايات المتحدة ٢ . وقد افترضت وزارة الخارجية التركية أن تركيا المستقرة ستكون لاجباً مؤثراً في سياسات الشرق الأوسط وستكون قادرة على أداء دور مهم في مستقبل العلاقات الأوروبية مع الشرق الأوسط، وخلال حقبة ما بعد الحرب الباردة عملت كل من النخب السياسية التركية والغربية بالحفاظ على تركيا ”كجزيرة من الاستقرار وسط منطقة مضطربة، وكحاجز ضد تفشي الحروب المحلية وانتشارها وكمرج للتعاون الإقليمي ٣“.

إن هجمات ١١ أيلول/سبتمبر لعام ٢٠٠١ الإرهابية عملت على تغيير المفاهيم الأوروبية، ولاسيما الولايات المتحدة لدور تركيا الأمني؛ إذ أرادت الولايات المتحدة مواجهة الشبكات الإرهابية والأزمات الإقليمية من خلال القواعد في المنطقة، ورأت عقيدة بوش في الوضع الراهن يقدم للولايات المتحدة فرصة كبيرة، حتى وأن واجهت البلاد تهديدات خطيرة من الإرهاب أو الدول المارقة، وإذا لم تستطع الولايات المتحدة جعل العالم أفضل فإنه يصبح أكثر خطورة؛ لذا فإن تلك العقيدة (عقيدة بوش) تفترض أن الولايات المتحدة يجب أن تعمل على الإطاحة بالأنظمة التي تمثل تهديداً ماثلاً أو محتملاً للأمن الأمريكي ٤، وكان الركن الآخر من عقيدة بوش هو نشر الديمقراطية.

إن انتشار الاعتقاد السائد القاضي بأن ” إذا لم يكن العام ملاذاً آمناً للديمقراطية فلن يكون العام آمناً“ ٥ وكانت تفترض أن ”السبب الرئيس الكامن وراء الإرهاب الإسلامي الراديكالي هو غياب الديمقراطية، انتشار الاستبداد، وعدم وجود الحرية في العالم العربي ٦ .

كان تهديد الأنظمة الأجنبية المستهدفة ابتداءً من عقيدة بوش، العراق وإيران وكلا هذين البلدين مجاور لتركيا، حليف الولايات المتحدة، فقد طلبت إدارة بوش من أنقرة أن تشارك في حربها ضد العراق من طريق توفير القواعد داخل تركيا والسماح للقوات الأمريكية المرور من خلال تركيا، وقد تفاوض المسؤولون الأتراك والأمريكيون في السماح لممر القوات الأمريكية من خلال تركيا إلا أن البرلمان التركي رفض ذلك، وفشل القرار يعود إلى حد كبير بسبب شكوك الإسلاميين والقوميين الجدد، فضلاً عن معارضة النواب الكرد؛ خوفاً مما سيصيب أبناء قبائلهم في العراق، فامتنع العديد عن التصويت، وفضلاً عن ذلك كان

2 - Meltem Muftuöler-Bac, , “Turkey’s Predicament in the Post-Cold War Era,” Future 28(3) (1996), p. 255.

3 - Nasuh Uslu, “The Factors Affecting Turkey’s Relations with the United States in the Post-Cold War Period,” The Turkish Year Book 31(2) (Ankara: Ankara University Press, 2000).

4 - Robert Jervis, “Understanding the Bush Doctrine,” Political Science Quarterly 118(3) (2003), p. 365-388.

5 - Nicholas J. Wheeler, “The Bush Doctrine: The Dangers of American Exceptionalism in a Revolutionary Age,” Asian Perspective 27(4) (2003), pp. 183-216.

6 - Keir A. Lieber and Robert J. Lieber, «The Bush National Security Strategy,» U.S. Foreign Policy Agenda 7(4) (2002), pp. 23-25.

هناك اعتقاد في واشنطن أن وزارة خارجية كولن باول عدت مسألة موافقة البرلمان التركي أمراً مفروغاً منه ولن تكون هناك معارضة قوية للاقتراح، مع ذلك يبقى الأمر الأكثر أهمية أنه كان يمثل قلة خبرة لحكومة عبد الله غول المشكلة جديدة، فهم اعتقدوا أن أغلبية أصوات النواب ستكون كافية وأنه المعارضة لا تشكل أهمية؛ لذا فهم كانوا مطمئنين بأن البرلمان سيوافق، وعلموا فيما بعد أن الأغلبية لكامل البرلمان مطلوبة ومن هنا فقد تم إجهاض المشروع .

وكما أوضحت صحيفة نيويورك تايمز إن هذه كانت هذه ضربة مدوية، ومع ذلك واصلت الولايات المتحدة دعم تركيا كديمقراطية إسلامية، وكأ نموذج للنظام الذي تسعى لتأسيس مثله في الشرق الأوسط؛ لذا ومن ذلك الحين فإن أهمية تركيا لا تكمن في الموقع الاستراتيجي المتاحم لإقليم الشرق الأوسط المضطرب فحسب بل وفي وضعها كديمقراطية علمانية إسلامية أيضاً، هو يقدم دليل حي على عدم التعارض بين الديمقراطية والإسلام.

وقد رحبت حكومة حزب العدالة والتنمية (AKP) بسياسة إدارة بوش الرامية للترويج لتركيا كديمقراطية علمانية إسلامية في المنطقة، وهذا قد وقر الفرصة لحزب العدالة والتنمية باستخدام سياسة الولايات المتحدة لكبح ميول المؤسسة العسكرية في التدخل في الشؤون الداخلية، وعلى الصعيد الدولي ساعدت تركيا بأن تكون مرشحة لعضوية الاتحاد الأوروبي بعد ٥٠ سنة من الانتظار، وبدءاً من العام ٢٠٠٢ اتصل بوش في كثير من الأحيان بقيادة الاتحاد الأوروبي من أجل طرح موضوع عضوية تركيا ٨٠ وبالنسبة لبعض أعضاء الاتحاد الأوروبي فإن ذلك ذهب إلى أبعد مما ينبغي، ففي العام ٢٠٠٤ اتهم الرئيس الفرنسي جاك شيراك بوش بالتدخل بشؤون الاتحاد الأوروبي، وعد أن ” الرئيس الأمريكي لم يذهب أبعد مما ينبغي فحسب بل وتدخل فيما لا يعنيه ” وأضاف قائلاً: ” أن الأمر كما لو أننا نخبر الأمريكيين بما يجب فعله في علاقتها مع المكسيك “ ٩ .

وفي الحقيقة أن مسألة ترشيح تركيا إلى الاتحاد الأوروبي أدت دوراً محورياً في كبح نفوذ المؤسسة العسكرية التركية في السياسات المحلية ولكنها في الوقت نفسه قللت من أهمية العلاقة التركية بالمؤسسة العسكرية، التي أدت دوراً مهماً في العلاقات التركية-الأمريكية منذ دخول تركيا لحلف الناتو، وبعبارة أخرى حينما انحسر نفوذ المؤسسة العسكرية التركية على الحكومة المدنية خسرت الولايات المتحدة مصدراً مهماً من مصادر تأثيرها على السياسات التركية.

7 - Dexter Filkins, "Threats and Responses: Ankara; Turkish Deputies Refuse To Accept American Troops," New York Times, 2 March 2003.

8 - Elaine Sciolino, "European Union Turns down Turkey's Bid For Membership," New York Times, 13 December 2002.

9 - "Bush Says Turkey should Join European Union," Today's Zaman, 11 June 2008.

في السنوات الأولى لنظام حزب العدالة والتنمية كان ذلك لا يبدو مهماً، فقادة الحزب قبلوا طوعاً دور الولايات المتحدة كشريك أساس على المستوى الإقليمي والدولي، فعلى سبيل المثال وفي الوقت الذي يُوجج فيه القوميون الجدد العداء لأمريكا من خلال وسائل الإعلام وتنظيم المظاهرات العامة، قامت حكومة حزب العدالة والتنمية (AKP) بجهود مستمرة من أجل كبح المشاعر المعادية لأمريكا ١٠، وسعى أردوغان لمحاكمة معادة السامية في تركيا وفي العام ٢٠٠٥ حصل أردوغان على جائزة ”وسام الشجاعة“ من رابطة مكافحة التشهير التي لا يمكن تحيّل أنها تُمنح لسياسي إسلامي، كما ودعم الجماعات الإسلامية المعتدلة ذلك المتشددون الإسلاميين. لذا فقد حصلت حركة غولن على نفوذ إبان تلك الحقبة.

وعلى الصعيد الدولي عمل أردوغان جهوداً كبيرة في العام ٢٠٠٨ من أجل ضمان السلام بين سوريا وإسرائيل، التي انهارت حينما غزت إسرائيل سوريا من دون إبلاغ تركيا، وبعد مجيء محمد مرسي إلى السلطة في مصر في العام ٢٠١١ زار أردوغان القاهرة وفي خطاب عام دعا مصر إلى تبني النموذج التركي للنظام العلماني، كما وعمل دوراً قيادياً في تأسيس تحالف الأمم المتحدة للحضارات، وهي مؤسسة تهدف إلى تسهيل الحوار بين العالم الإسلامي والغرب ١١.

عمليات مكافحة الإرهاب: الإسلاميون المتشددون:

أدت تركيا دوراً في حرب الولايات المتحدة العالمية ضد الإرهاب بوصفها أعمدجاً للدول التي تظهر إمكانية التعايش بين الإسلام والديمقراطية، خلال المدة بين عامي ٢٠٠٢-٢٠١٢ تابعت الحكومة التركية، ولاسيما منظمة الاستخبارات الوطنية التركية (TNIO) والشرطة الوطنية التركية (TNP)، وما ينظر إليه كمصالح مشتركة بينها وبين الولايات المتحدة لمنع انتشار التطرف في أوساط المجتمع الإسلامي الأوسع، وفي الواقع فإن الهجوم الكبير الإرهابي الذي قامت به القاعدة في أوروبا حصل في تركيا، ففي ١٥ و ٢٠ من تشرين الثاني/نوفمبر عام ٢٠٠٣، حملت جماعة تركية راديكالية إسلامية في اسطنبول أربع شاحنات بالمتفجرات، ونفذت هجمات انتحارية ضد اثنين من المعابد اليهودية والكنائس العامة في بريطانيا ومبنى بنك (HSBC) مخلفين ٥٧ من القتلى و ٧٠٠ جريح، وتم إدانة عدة أشخاص لتورطهم بالتفجير، بعضهم تلقى تدريبات مع القاعدة في أفغانستان.

كان الراديكاليون الإسلاميون الأتراك يدرسون في المدارس الجهادية في باكستان ومصر، وقاتلوا مع المنظمات الجهادية في أنحاء العالم الإسلامي في (أفغانستان وباكستان والشيشان والبوسنة وكوسوفو وكردستان). جعلت منظمات الأمن التركية تشديد قبضتها على هؤلاء الجهاديين السابقين من أهدافها

10 - Emrullah Uslu, Ulusalçilik: The Neo-Nationalist Resurgence in Turkey,” Turkish Studies 9(1), (2008), p. 73-97.

11 - For more information about this organization, consult its website: <http://www.unaoc.org> (accessed 4 February 2015).

المحورية؛ للحيلولة دون وقوع هجمات أخرى للقاعدة في تركيا أو الغرب، وتعاون ضباط الاستخبارات والشرطة بنحوٍ وثيق من أجل رصد الشبكات المنضوية للقاعدة، وأطلقت الشرطة الوطنية التركية (TNP) حملة واسعة لبرنامج تعليمي مكثف لأعضائها، وأرسلت أكثر من ١٠٠٠ من كبار الضباط من ذوي الرتب العالية للدراسة في الغرب ولاسيما في الجامعات والمؤسسات الأمريكية؛ من أجل الحصول على الشهادات العليا في البرامج ذات الصلة بمجال عملهم، وقد تلقى الكثير منهم تدريبات من لدن مكتب التحقيقات الفدرالية (FBI) أو منظمات الشرطة المحلية من أجل تسهيل التعاون في المستقبل.

أطلقت الشرطة الوطنية التركية وبدعم من الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي (TNP) برنامجاً تعليمياً رئيساً للضباط؛ لإنفاذ (تطبيق) القانون من البلدان الأخرى في المنطقة. ودرت الأكاديمية التركية للشرطة وكذلك المؤسسات التعليمية الأخرى التابعة للشرطة الوطنية التركية (TNP) أكثر من ٥٠٠٠ ضابط لتطبيق القانون من البلدان المجاورة خلال تلك الحقبة، وهذه كانت الخطوة الرئيسة للتعاون الإقليمي ضد الإرهاب وتهريب المخدرات والاتجار بها، وأعدت الشرطة الوطنية التركية (TNP) تنظيم وحدات مكافحة الإرهاب لتركيز اهتمامها على الراديكاليين الإسلاميين فضلاً عن التركيز المعتاد على المتشددين الكرد، التي قادت إلى اعتقال لؤي سقا القيادي البارز في القاعدة، الذي كان يخطط لشن هجمات ضد السفن (البواخر) السياحية الإسرائيلية الراسية على الموانئ التركية. ١٢

وبين الأعوام ٢٠٠٣ و ٢٠١٢ نفذت الشرطة الوطنية التركية (TNP) برنامج عمليات مكثف ضد القاعدة من أجل منعها من تشكيل شبكة فاعلة داخل تركيا، وأكد خبراء الإرهاب الأتراك خلال تلك الحقبة أن الشرطة اعتقلت ٣٣٤٨ مشتبهاً بانتمائهم إلى القاعدة، ٣٠٠ منهم تم اعتقالهم في العام ٢٠٠٣ وحدها وأكثر من ١٠٠٠ بين الأعوام ٢٠٠٨ و ٢٠١٠ و ١٣.

تحوّل السياسة التركية بعد عام ٢٠١٢:

تم اعتقال ١٤٨ مشتبهاً بهم بالانتماء إلى القاعدة فقط في العامين ٢٠١٣ و ٢٠١٤ و ١٤. وأوضح المسؤولون الأتراك، وبضمنهم رئيس الوزراء رجب طيب أردوغان أن هذا العدد هو دليل على أن تركيا لم تغض الطرف عن الإرهاب، إلا أن الانحسار في الأعمال العدائية لمكافحة الإرهاب كان واضحاً، إذ إن تركيا في ذلك الوقت كانت مترددة فيما إذا كانت ستستخدم الجهاديين ضد نظام الأسد في سوريا، مع ذلك فخلال العام ٢٠١٢ تمكن عددٌ متزايد من الجهاديين الأجانب من العبور بحرية من تركيا إلى سوريا، والمشاعر الجهادية بدت صريحة في أوساط الراديكاليين الإسلاميين الأتراك، وشعارات جبهة النصرة

12 - "750 kiloluk El Kaide bombasi," Hurriyet, 11 August 2005.

13 - "El Kaide'ye kars,1 en c, ok operasyon Tu'rkkiye'den," Yeni Safak, 9 October 2010.

14 - Alper Sancar, "El Kaide'ye 3 yilda 140 operasyon," Sabah, 10 November 2013.

انتشرت في التقاطعات الرئيسية في إسطنبول ١٥، وبإزاء ذلك فقد تضاءلت وبنحو مضطرد وتيرة عمليات الشرطة الوطنية التركية (TNP) واعتقالها ١٦.

وبدءاً في العام ٢٠١٢ فإن المساعدة التركية إلى القاعدة وهؤلاء الذين ينتمون إليها انخرطت بالنشاطات المناهضة للأسد التي وثقت بنحو جيد من قبل الدبلوماسيين ووكالات الاستخبارات وضباط تطبيق القانون ووسائل الإعلام الدولية، فعلى سبيل المثال في العام ٢٠١٤ فقد أقرّ وبوضوح سفير الولايات المتحدة السابق لدى أنقرة فرانيس ريتشاردوني "أن الأتراك عملوا بنحو صريح مع جماعات بضمنها النصر ١٧" إن التخفيض الكبير لعمليات الشرطة ضد الراديكاليين الإسلاميين يفصح عن أنه سياسة حكومية متمعمة، وقد ادعى ضابط شرطة سابق أنه في بداية عام ٢٠١٤ أن قائد شرطة إسطنبول لمكافحة الإرهاب أبلغ ضباطه بعدم التحقيق مع الجهاديين من الشيشان وداغستان. ١٨

أسباب تحوّل الشرطة:

إن تسامح تركيا مع المنظمات الجهادية -على الرغم من إنكار المسؤولين الحكوميين ذلك- يرتبط ارتباطاً مباشراً بفشلها في إيجاد فضيل معارض لنظام الأسد من بين صفوف القوات السورية المعتدلة، وأثبت المجلس الوطني السوري أنه غير قادر على أن يحوّل نفسه إلى الحكومة الموثوقة المنتظرة، فيما بدا حلفاؤها العسكريون ضعفاءً في مواجهة تكتيكات الأسد، وفشلت المبادرات الدبلوماسية الغربية في إسقاط الأسد ١٩ الذي ما زال يتمتع بدعم روسيا وإيران.

قلل القادة الأتراك من قدرة تحمل نظام الأسد، وفي وقت مبكر ادعى رئيس الوزراء التركي أحمد داوود أوغلو بأن الأسد سيسقط في غضون أسابيع ٢٠، وقال النائب عن حزب العدالة والتنمية (AKP) شامل طيار بتفاؤل "يمكننا إسقاط دمشق بثلاث ساعات" ٢١ وكما جادل إلهان أوزجل بالقول إن

15 - Emre Uslu, "El Kaide, IHH, TIR vs....," Taraf, 15 January 2014.

١٦ - قد تبدو الأرقام كبيرة بالنسبة إلى هؤلاء الذين ليسوا على دراية بعمل الشرطة في تركيا، وعلى الرغم من حقيقة أن شبكة القاعدة تنشط في تركيا كما وينشط متشددها الذين يقومون بتخزين الأسلحة ويفخخون ويشنون الهجمات وما إلى ذلك فإن الرقم قليل إلى حد ما، وحينما تشن الشرطة عمليات ضد الشبكات الإرهابية وتلقي القبض على المتشددين ومن يتعاطف معهم من المنظمات للاستحواب التي من خلالها تحصل الشرطة عن معلومات قيمة لعمليات أخرى، بعبارة أخرى إن الرقم في أعلاه يبدو كبيراً لأن الشرطة لا تلقي القبض على المتشددين الجهاديين فحسب، بل ومن يتعاطف معهم الذين ينتمون أيديولوجياً لهم أيضاً. 17 - Richard Spencer, "Turkish Government Co-Operated with al-Qaeda in Syria, Says Former US Ambassador," The Telegraph, 12 September 2014.

18 - "Silivrideki Polislerden Kan Donduran Sultanahmet Ve Oe zбек Hoca Mesajlari," aktifhaber.com, anuary 2015 (accessed 29 January 2015).

19 - Christopher Phillips, "Into the Quagmire: Turkey's Frustrated Syria Policy," Chatham House Briefing Paper, December 2012, MENAP BP 2012/04.

20 - "Davutoğlu Esad'a Ömuñ bic, ti," NTV, 24 August 2014.

21 - "S, amil Tayyar: 3 saatte S, am'a varnız," Radikal, 10 October 2012.

غطرسة المسؤولين الأتراك تتأتى من افتراض أنهم يفهمون سوريا من خلال تفاعلهم مع دمشق في العقود الماضية، وعلى الرغم من عدم وجود متخصصين في سوريا (الذين يتكلمون العربية على العموم) في وزارة الشؤون الخارجية إذ طالما كان توجههم أوروبياً ثقافياً وسياسياً؛ لذا كان الفشل حتمياً وتحولت الغطرسة إلى إحباط الذي أدى بدوره إلى قرار دعم الحرب بالوكالة في سوريا ٢٢، وفي الوقت نفسه كانت الحكومة تأمل بتغيير سلوك بشار الأسد.

افتراض أردوغان خطأً افتراض أن له تأثيراً كبيراً على الرئيس الأسد؛ لأنه تصور أنه أقام علاقة شخصية قوية معه في السنوات السابقة، لذا يعتقد عمر تاسينار أن جزءاً كبيراً من السياسة العدائية المتطرفة حيال سوريا نابعة من الشعور بالخيانة ٢٣.

إن طموحات أردوغان وداوود أوغلو أكثر تعقيداً وتذهب أبعد من القضايا السورية، لأن أهدافهما تتركز على وضع تركيا بوصفها "بلداً محورياً" في منطقتها الجغرافية، لتصبح فاعلاً رئيساً في المنطقة بثقل مساوٍ للقوى العالمية ٢٤، وسعت سياسة أوغلو الشهيرة "تصغير المشاكل" إلى توظيف القوة الناعمة لتركيا؛ لتحقيق تلك الغاية ولما فشلت هذه الاستراتيجية سعت أنقرة إلى المساعدة الغربية لتنحية الأسد من السلطة، إلا أن الغرب تردد بتلبية رغبات تركيا وتصور أنه دخل حرباً بالوكالة مع روسيا وإيران مع عواقب لا يمكن التنبؤ بها، فهذا التردد شجع تركيا باستخدام عملائها للإطاحة بالأسد، إلا أن السبب الاستراتيجي الأساس الكامن وراء رغبة تركيا في تنحية الأسد من السلطة يتعلق بالمسألة الكردية، فالقوات الكردية في سوريا المناصرة لحزب العمال الكردستاني (PKK)، وحزب الاتحاد الديمقراطي (PYD)، حاولت جعل نفسها القوة الرئيسة الثالثة في البلاد، وفي البدء تعاون حزب الاتحاد الديمقراطي (PYD) مع الأسد وبإزاء ذلك انسحبت قوات الأسد من المناطق الكردية ٢٥ فهذا الأمر أزعج الأتراك الذين دعموا مسعود البارزاني، رئيس حكومة إقليم كردستان العراق وليس صديق لحزب العمال الكردستاني (PKK)، واتهم البارزاني علناً حزب الاتحاد الديمقراطي (PYD) بالتعاون مع الأسد، إلا أنه عاجز عن التأثير في الكرد السوريين بالاتجاه الإيجابي . ٢٦

وحيثما بادت جهود البارزاني في السيطرة على الإقليم الكردي السوري بالفشل، شجعت السلطات التركية الوحدات الجهادية لشن هجمات ضد المدن التي يسيطر عليها حزب الاتحاد الديمقراطي (PYD)، واتهم زعماء صالح مسلم زعيم حزب العمال الكردستاني (PKK) في سوريا، وحزب الاتحاد

22 - Phillips, "Into the Quagmire."

23 - Omer Taspinar, "Turkey's Strategic Vision and Syria," Washington Quarterly 35(3) (2012), pp. 127-140.

24 - Ahmet Davutoglu, Stratejik Derinlik Turkiye'nin Uluslararsi Konumu (Istanbul: Kure Yayinlari, 2001).

25 - "Syria's Kurds Face Uncertain Future if Assad Falls," The Guardian, 14 December 2014.

26 - "PYD has Authority Only on Regions 'Given by the al-Assad Regime': Iraqi Kurdish Leader Bar- zani," Hurriyet Daily News, 14 November 2013.

الديمقراطي (PYD) تركيا بإدخال الجهاديين إلى سوريا ٢٧، وحينما قام تنظيم الدولة الإسلامية في العراق وبلاد الشام (داعش) بمحاصرة المدينة الكردية كوباني دعم أردوغان داعش وتوقع أن كوباني على وشك السقوط، الأمر الذي أثار ردود فعل عنيفة بين الأوساط الكردية ٢٨، وفي وقت لاحق حينما كانت كوباني تقع تحت وطأة هجوم كبير من داعش، منعت تركيا عناصر حزب العمال الكردستاني من الالتحاق بالمعركة، بينما سمحت للقوات الموالية لبارزاني بالمرور من خلال الأراضي التركية والالتحاق للدفاع عن كوباني ٢٩.

تعتقد السلطات التركية أن بقاء الأسد في السلطة من المرجح أن يحاول استخدام حزب العمال الكردستاني لزراعة استقرار بلادهم، إذ إن هناك علاقات طويلة تجمع الأسد وحزب العمال الكردستاني، فأوجلان عاش في دمشق طوال ٢٠ عاماً وأسس معسكرات لحزب العمال الكردستاني في وادي البقاع، زد على ذلك أن التعاون بين حزب العمال الكردستاني (PKK) وحزب الاتحاد الديمقراطي (PYD) وأنقرة مدعاة للقلق؛ لذلك فإن حكومة (AKP) استنتجت أنه لا خيار سوى دعم جبهة النصرة وداعش والجماعات الجهادية الأخرى ضد الأسد وحزب الاتحاد الديمقراطي (PYD).

السياسات التركية حيال الجهاديين وتأثيرها على الأمن في الغرب:

أعلن المسؤولون الأتراك صراحةً أن هدف تركيا الرئيس في سوريا هو تنحية نظام الأسد من السلطة، ومع ذلك تفتقر تركيا إلى القدرة على تنحية الأسد بمفردها؛ لذلك دعمت الجماعات المنضوية للقاعدة بنحو مباشر وغير مباشر من خلال شرعنة الخطاب السياسي للإسلام الراديكالي. هناك وجهان للدعم التركي المباشر للجهاديين، الأول: قرار القادة الأتراك بدعم الجهاديين حول البلد إلى "طريق للجهاديين" فالجهاديين وأسلحتهم يعبرون الأراضي التركية للدخول إلى سوريا بعلم السلطات التركية، وطبقاً لمصادر موثوقة فإن منظمة الاستخبارات الوطنية التركية (TNIO) هي من نسق ذلك النشاط. وكانت الحدود التركية مع سوريا ملاذاً للتهريب الذي وُلد الاقتصاد الخاص للجهاديين، فمنذ أن قدموا للسيطرة على سوريا أصبحوا المستفيدين الرئيسيين من اقتصاد السوق السوداء هذا، وأن تركيا جعلت مرافقها الطبية متاحة لمعالجة جرحى الجهاديين. أما الوجه الثاني فإن الحكومة التركية منعت المدعين (أعضاء النيابة العامة) والضباط من تطبيق القانون والتحقيق مع الشبكات أو النشاطات المرتبطة بالقاعدة (للمزيد من التفاصيل، ينظر أدناه).

وبالمثل أيضاً هناك وجهان أساسان للدعم التركي غير المباشر للجهاديين: الأول: إن المسؤولين

27 - Amberin Zaman, "Salih Mu?slim: C, etelere mermi veriliyor," Taraf, September 2013.

28 - "Turkish President Erdo?gan Says Airstrikes Not Enough to Save Kobane," Hurriyet Daily News, 7 October 2014.

29 - "Pes,merge Kobani'de," Hurriyet, 31 October 2014.

الأترك أضفوا الشرعية على المتطرفين الخلين والمتعاطفين مع القاعدة أمام أعين الناس العاديين، إذ سمحوا للأطروحات الجهادية بأن تسيطر على الخطاب السياسي الإسلامي في تركيا. الثاني: إن السلطات التركية غدّت وبنحوٍ نشط المشاعر المناهضة لأمريكا والغرب والسامية بين أوساط الجيل الجديد من الإسلاميين الذي هو في الواقع الجيل القادم من الجهاديين، وفي الوقت نفسه فإن السلطات التركية تقدم المساعدات للشبكات الإسلامية السياسية العالمية مثل الإخوان المسلمين في مصر ودول البلقان وحماس في فلسطين وهؤلاء الموجودين بين أوساط اللاجئيين السوريين.

هناك مليوناً لاجئ سوري ممن تلقوا المأوى في جنوب الأناضول، أغلبهم يعيش تحت وطأة ظروف قاسية للغاية، هذه الفئة من الناس بعضهم اشتغل بالزراعة فيما جند بعضهم الآخر من قبل القاعدة والجماعات المتطرفة الأخرى ولم تتخذ الحكومة التركية أية تدابير وقائية ضد الأنشطة من هذا القبيل.

من المعروف جيداً أن أيديولوجية الإسلام السياسي صدرت إلى تركيا من المستعمرات الغربية مثل مصر وباكستان والجزائر وهلم جرأً، وفي الستينيات والسبعينيات من القرن المنصرم، ومن خلال ترجمة أعمال الإسلاميين السياسيين، وعلى رأسهم مفكرو الإخوان المسلمين الذين زجوا بوجهات نظرهم في الخطاب الإسلامي التركي، فالمشاعر المناهضة للغرب بين الإسلاميين اليوم تم تكريسها من قبل أعمال مفكري الإخوان المسلمين مثل سيد قطب ومحمد قطب وحسن البنا ويوسف القرضاوي التي تجذرت في أعماق المجتمع التركي، وبعد خمسين سنة فإن تركيا لا تستضيف أيديولوجية الإخوان المسلمين فحسب بل الناشطين أيضاً، وهو الأمر الذي لايساعد المجتمع التركي بقدر ما يكون له تأثير كبير عليه – وكذلك العالم الإسلامي ككل – بالمستقبل القريب.

الأنشطة الإجرامية على "طريق الجهاديين السريع":

أضحت تركيا مركزاً لعمليات غسل الأموال الإيرانية والمكان الذي تتركز فيه جهود إيران لتجاوز الرقابة حول نقل التكنولوجيا النووية، التطور يبدو من خلال قرار الولايات المتحدة بتشديد العقوبات ضد إيران وتردد الغرب في تنحية بشار الأسد من السلطة، أسست حكومة احمدي نجاد شبكة معقدة لغسل الأموال من أجل تجاوز العقوبات الأمريكية، وفي جانب كبير منه هو الحصول على الأموال من أجل دعم البرنامج النووي الإيراني، في العام ٢٠١٣ أفادت صحيفة (خبر ترك) بأن إيران تستخدم تركيا كقاعدة لأنشطتها التجارية التي ضخّت ما يقرب من ٨ مليارات دولار إلى تركيا للأغراض المتعلقة بالتجارة، واشترت شركتين من شركات النقل التركية المرموقة طيران أونور وأولوسوي باص وتراك فليت ٣٠. وبعد بضعة أيام، تم نقل سبع طائرات إيرباص من أونور آير للخطوط الجوية إلى قشم الإيرانية، وهذه الشركة الأخيرة يملكها الملياردير الإيراني بابك زنجاني أحد أهداف العقوبات الأمريكية والاتحاد الأوروبي، ويعتقد

على نطاق واسع أن الزنجاني يقوم بغسل الأموال للحكومة الإيرانية³¹. فضلاً عن ذلك أفادت وسائل الإعلام التركية بأن الشرطة الوطنية التركية (TNP) قد ألقت القبض على عميل إيراني، يدعى حسين تانیده الذي زعم أنه حصل على معدات للبرنامج النووي الإيراني من ألمانيا والهند، وبناءً على طلب الحكومة الألمانية والانتربول تم إصدار النشرة الحمراء على تانیده، واستهدفته من أجل إلقاء القبض عليه، وطلبت ألمانيا من تسليم تانیده إلا أن منظمة الاستخبارات الوطنية التركية TNIO تدخلت وأطلقت سراحه من سجن الشرطة ٣٢، وفي ١٧ كانون الأول/ديسمبر عام ٢٠١٣ داهمت الشرطة الوطنية التركية (TNP) منازل عددٍ من كبار السياسيين ورجال الأعمال بعد جمع أدلة أظهرت أن كبار السياسيين الأتراك بضمنهم وزراء قاموا بغسل ما يقرب من ١٠٠ مليون مليار دولار من الأموال الإيرانية بعد تشديد العقوبات، وبدا من الواضح أن تركيا أصبحت مركزاً للأنشطة الإيرانية التجارية والمالية غير الشرعية، والغريب في الأمر أنه في الوقت الذي تتعاون فيه تركيا وتستفيد من أنشطة غسل الأموال الإيرانية، إلا أنها دخلت في مواجهة مباشرة مع إيران وسوريا، في إيران دعمت بشدة نظام الأسد وتركيا تريد تنحيته بالقوة من السلطة.

توريد تركيا للأسلحة في سوريا:

إذا كانت تركيا أصلاً قدمت الدعم العسكري فقط للمعارضة المعتدلة لنظام دمشق فإنه من الواضح أن أنقرة لم تبذل جهداً في التمييز بين المعارضة المعتدلة والمتطرفة، وقد أظهر تقرير صادر عن فريق الدعم التحليلي ورصد الجزاءات أن تركيا سمحت باستخدام أراضيها كقناة لتوريد الأسلحة إلى داعش وجبهة النصرة، ومن جانبها أنكرت أنقرة رسمياً هذه الادعاءات³³، إلا أن المؤسسة العسكرية التركية قبلت حقيقة أن منظمة الاستخبارات الوطنية التركية (TNIO) شحنت أسلحة إلى القاعدة ٣٤، وفي الحقيقة نشرت صحيفة بير غان من الجناح اليساري وثائق وصفت مدهامات للشرطة العسكرية على شاحنات تابعة لمنظمة الاستخبارات الوطنية التركية (TNIO) تحمل أسلحة متوجهة إلى متشددین إسلاميين في سوريا³⁵، وقد أكدت شهادات دعم تركيا المباشر للقاعدة، فسائق شاحنة (ل.ك) الذي ألقى القبض عليه أثناء نقله ٩٠٠٠ قذيفة هاون شهد في محكمة أضنة في العام ٢٠١٣ قائلاً "أنا حملت شحنات

31 - Gokhan Erkuş, "Uc, akta tehlikeli ilis,ki," Taraf, 29 September 2013.

32 - Huseyin Ozkaya, "Almanya ile Casusluk Krizi," Taraf, 5 August 2013.

33 - "Ankara Refutes UN Report Claiming Turkey Route for Arms to al-Qaeda," Hurriyet Daily News, 30 December 2014.

34 - Fehim Tastekin, "Turkish Military Says MIT Shipped Weapons to al-Qaeda," Al-Monitor, 15 Jan- uary 2015. Available at <http://www.al-monitor.com/pulse/originals/2015/01/turkey-syria-intelligence-service-shipping-weapons.html> (accessed 10 February 2015).

35 - Sebnem Arsu, "Turkey Threatens to Block Social Media Over Released Documents," The New York Times, 16 January 2015.

مشاهدة أكثر من مرة، وتم تفرغ الشحنة في مركز للدرك على الحدود، والشحنة لا تعود إلى القوات المسلحة التركية ” وخلصت المحكمة إلى أن الطريق الذي يسلكه السواق يقود مباشرة إلى معسكر للقاعدة ٣٦. شحنات الأسلحة التركية إلى بعض الجماعات في سوريا عادت إلى الواجهة في آذار/مارس ٢٠١٤ حينما كشف تسجيل صوتي بث على مواقع اليوتيوب عن محادثة سرية للغاية بين وزير الخارجية أحمد داوود أوغلو (ومن ثم رئيس وزراء) ووكيل وزير الخارجية فريدون سنرلي أوغلو ورئيس منظمة الاستخبارات الوطنية التركية (TNIO) هاكان فيدان ونائب رئيس هيئة الأركان العامة يشار جولر الذين ناقشوا فيما إذا كان يجب أن تقوم تركيا بتوغل عسكري في سوريا قبل الانتخابات المحلية في ٣٠ آذار/مارس. في هذا التسريب عالي المستوى سمع فيدان يقول إن تشكيلات الاستخبارات العسكرية (MIT) ” أرسلت حوالي ٢٠٠٠ شاحنة مع تجهيزاتها إلى سوريا بعد شكوى من يشار جولر الذي اشتكى أن المنطقة تحتاج أسلحة وذخيرة ليتمكن إنقاذها ٣٧.

أفادت صحيفة جمهوريت بأن وثائق المحكمة أظهرت أن داعش قد اشترى الأسلحة والمدفعية الثقيلة في السوق السوداء التركية، والأمر الأكثر أهمية هو أن أجهزة الاستخبارات والشرطة التركية تنصت على صفقات الأسلحة التي وقعت بين داعش ومواطنين أتراك—واحد منهم ينتمي إلى مؤسسة الإغاثة الإنسانية (IHH)—لكنها لم تتدخل، وبدلاً من ذلك سمحوا للصفقة بأن تسير قدماً ٣٨، وحتى بعد أن أصبحت الصفقات علنية لم يتم إجراء تحقيق.

الدعم الاقتصادي والطبي:

يعتمد داعش على تهريب النفط من أجل تمويل عملياته، وقد أفادت صحيفة النيويورك تايمز بأن إدارة أوباما غير قادرة على إقناع تركيا من أجل أن تتخذ إجراءات صارمة على الشبكة التجارية الكبيرة للإرهابيين، حيث يتم الاتجار بأغلب النفط الذي يستولي عليه داعش في السوق السوداء، ويعتقد الخبراء أن ”تركيا قد غضت الطرف على ذلك، لأنها تستفيد من أسعار النفط المنخفضة للنفط المهرب في السوق السوداء ٣٩، مع ذلك رفضت بشدة تقرير النيويورك تايمز ٤٠. وقد وثقت صحيفة راديكال التركية مئات

36 - Emre Uslu, “Has Turkey helped ISIS?,” Today’s Zaman, 31 August 2014.

37 - “Report: US Urged Turkey Not to Help ‘Some Groups,’” Today’s Zaman, 12 September 2014.

38 - Ahmet Sik, “Cihatcilar Silah Pazarliginda,” Cumhuriyet, 14 February 2015.

39 - David E. Sanger and Julie Hirschfeld Davis, “Struggling to Starve ISIS of Oil Revenue, U.S. Seeks Assistance From Turkey,” New York Times, 13 September 2014.

40 - Tolga Tanis, “Turkish President Erdoğan Slams New York Times over ISIS Story,” Hurriyet Daily News, 17 September 2014.

.من خطوط الأنايبب غير القانونية التي تضح منتجات النفط الخام المكرر ٤١
وفيما يتعلق تحديداً بالدعم الطبي التركي لداعش والقاعدة ومن ينضوي لها، فقد أفادت صحيفة
ملييت التركية بأن القيادي في داعش مازن أبا محمد تلقى العلاج الطبي بمستشفى جامعة مصطفى كمال
في هاتاي، وأكد المسؤولون أن الصور التي نشرتها صحيفة ملييت قد أظهرت بالفعل أن أبا محمد تلقى
العلاج الطبي ٤٢، ونشرت صحيفة حريت التركية صوراً لمتشدد آخر من داعش، عمار علو، تلقى العلاج
أيضاً في مستشفى محمد عاكف اينان بولاية شانلي أورفة ٤٣، وهذان اثنان من الكثير من الأخبار
الإعلامية التركية التي نشرت أخبار بشأن تلقي الجهاديين المساعدة الطبية، والسلطات التركية أنكرت تلك
الادعاءات، وكذلك أفادت بأن بطاقات الهوية غير مطلوبة للمصابين الذين يأتون للعلاج في المستشفيات
التركية، وفي الحقيقة إن الأطباء يقومون بعلاج المرضى بغض النظر من خلفياتهم أو انتماءاتهم، إلا أن
الواقع على الأرض يختلف، ففي كل مستشفى هناك ضابط شرطة، وظيفته الأساسية تسجيل هؤلاء
القادمين للمستشفى لغرض العلاج للتدقيق فيما إذا كان السبب من وراء ذلك هو نشاط إجرامي، وبعبارة
أخرى هناك آلية موجودة للاحتفاظ بسجلات هؤلاء الذين يأتون إلى المستشفى بعد اشتباك مسلح؛
ولذلك فمن غير المعقول أن سلطات الأمن التركية لا تعرف هويات المنضويين للجهاديين الذين يتلقون
العلاج في المستشفيات التركية، وفي الحقيقة أن أحد أعضاء حزب العمال الكردستاني (PKK) الذي
جيء به إلى المستشفى التركي بعد إصابته في سوريا تم التعرف عليه واعتقاله من قبل السلطات التركية ٤٤ .

طريق الجهاديين السريع والأمن الغربي:

عبر العديد من الجهاديين الغربيين تركيا للوصول إلى سوريا، وتلقوا هناك تدريباتهم، ثم عادوا إلى
أوروبا ومن المحتمل إلى الولايات المتحدة وكندا، واعترف المسؤولون لأترك بأن حياة بومدين زوج منفذ
المهجوم على صحيفة شارلي إيبدو الفرنسية أحمد كوليبالي قد سافرت إلى تركيا في وقت مبكر من هجمات
باريس، ومن المحتمل أنها عبرت إلى سوريا بعد أن فقد المحققين أثرها قرب بلدة أقجة قلعة التركية ٤٥،
وحيثما يدخل الجهاديون المشتبه بهم إلى تركيا، فلا يتم رصد أنشطتهم؛ لذ لا يوجد سبيل لتحديد ماذا
كانوا ذهبوا إلى سوريا لتلقي التدريب العسكري أم لا، (وفي عودتهم إلى بلدانهم فهم عادة ما يسلكون
طريقاً غير مباشر من خلال عدة بلدان أوروبية لتحاشي التفتيش)، ومما يزيد الطين بلة أن هناك ٣٠

41 - Fehim Tastekin, "Sinirsiz Sınır," Radikal, 13 September 2014.

42 - "IS, I_D komutanı Hatay'da mı tedavi edildi?" Milliyet, 13 June 2014.

43 - Dincer Gokc, e, "IS, I_D uFyesi S, anhurfa'da tedavi ediliyor iddiası," Hurriyet, 22 September 2014.

44 - Devlet hastanesinde yakalandı," Zaman, 11 February 2015.

45 - GuFven Oe zalp-U'g; ur Ergan, "MI_T Fransız makamlara Hayat Boumedienne'yi bildirdi," Hurriyet, 12 January 2015

مليون سائح يزور تركيا سنوياً، وضباط تطبيق القانون في أوروبا لا يستطيعون توقيف ومساءلة كل مسافر متجه إلى أوروبا.

منع التحقيقات بشأن الأنشطة المنسوبة للقاعدة:

بين العامين ٢٠٠٢ و ٢٠١٣ واصلت تركيا استراتيجية متعددة المستويات لمكافحة تنظيم القاعدة والمنظمات المتشددة الأخرى، وفي الوقت الذي يتم فيه التحقيق والرصد والاعتقال بتنظيم القاعدة والمتشددين الآخرين أسست الشرطة الوطنية التركية (TNP) وحدات لمواجهة العمليات المتطرفة، وقد عملت الشرطة للوصول إلى الفئات الضعيفة من الناس - قبل أن يفعل ذلك الإرهابيون - وغيرت من ديناميات الجماعات السائدة للحيلولة دون تجنيدهم. ٤٦

استخدمت الشرطة بحوث علم الاجتماع من أجل تبني مشاريع اجتماعية وأنشطة مع الآباء والأمهات والتدريب أثناء الخدمة للضباط والمعلمين، ومثل هذه البرامج يكون لإعداد المدربين والمختصين بعلم النفس وفن الكوتشنج والقيادات الدينية التي من شأنها عرقلة وتحجيم الرسائل التي يبثها المتطرفون ومنع التجنيد، وقّعت الشرطة الوطنية التركية (TNP) ١٠٠ اتفاقية تعاون أمنية مع ٨٣ بلداً لمحاربة الإرهاب، وأغلب تلك الاتفاقيات انطوت على القيام بعمليات مكافحة إرهاب مشتركة، وأنشأت الشرطة الوطنية التركية (TNP) قواعد تدريب لوحدات الشرطة للبلدان في المنطقة، وبالمجمل هناك ٣٣٤ برنامجاً تدريبياً تم تنظيمه ل ٥,٧١٧ مشاركاً من ٨٠ بلداً مختلفاً. ٤٧

فضلاً عن ذلك فقد تعاونت الشرطة الوطنية التركية (TNP) مع شركائها الغربيين في مجال التبادل النشط للمعلومات على شبكات القاعدة، فداهمت عناصر الشرطة التركية العديد من خلايا القاعدة وألقت القبض على عدد من المتشددين البارزين خلال تلك الحقبة، التي تمخض عنها الكثير من المعلومات حول الأفراد المنضويين للقاعدة وأساليبها، واتصل العديد من أجهزة تطبيق القانون الأوروبية - بضمنها البريطانية والفرنسية - بالشرطة الوطنية التركية (TNP) لطلب التعاون، وبإزاء ذلك طلبت الشرطة الوطنية التركية (TNP) الدعم في مجال التحقيق ضد أهدافها لعناصر حزب العمال الكردستاني (PKK) ٤٨، وقد أفضى هذا التعاون فوائد كبيرة لكلا الجانبين .

وواحدة من تجليات الجهود التعاونية فقد ساعدت الشرطة الوطنية التركية (TNP) على تأسيس المعهد التركي لدراسات الشرطة في واشنطن (D.C)، من أجل تنظيم المؤتمرات الدولية على الإرهاب، وقد

46 - "Country Reports on Terrorism 2013," U.S. Department of State Bureau of Counterterrorism. Released April 2014. Available at <http://www.state.gov/j/ct/rls/crt/2013/224822.htm> (accessed 5 February 2015).

47 - Ufuk G. Yavuz and Necati Yildirim, "International Police Cooperation on Counter Terrorism (CT) in Turkey." Available at http://www.un.org/en/terrorism/ctitf/pdfs/central_asia_turkey.pdf (accessed 5 February 2015).

48 - Huseyin Ors, What Are The Lessons That Can Be Learned From Turkey's Transnational Operational Police Cooperation Experiences (Ph.D. Dissertation, Rutgers University, 2011).

حضر مسؤولون رفيعو المستوى من تركيا والولايات المتحدة تلك المؤتمرات وتعهدوا بالتعاون ٤٩. وإبان تلك المدة كان التعاون بين أجهزة تطبيق القانون التركية والأمريكية على مستوى عالٍ وفريد من نوعه، مع ذلك قررت حكومة حزب العدالة والتنمية (AKP) تجاهل عبور الجهاديين من الأراضي التركية، فإن التعاون الدولي انحسر بنحوٍ شديد، وقد منعت وحدات مكافحة الإرهاب التابعة لمنظمة الاستخبارات الوطنية التركية (TNIO) والشرطة الوطنية التركية (TNP)، التي يقع على عاتقها مسؤولية التعامل مع الأنشطة الإرهابية، من القيام بعمليات مكافحة فاعلة للإرهاب، وحينما أصبحت الشرطة على علم بشحنات الأسلحة إلى تنظيم القاعدة، تدخلت منظمة الاستخبارات الوطنية التركية (TNIO) ومنعت أي متابعة للتحقيقات بشأن تلك الشحنات، ووقعت حادثة بارزة في تشرين الثاني/نوفمبر عام ٢٠١٣ حينما استولت الشرطة الوطنية التركية (TNP) على ١٠٠٠ قذيفة هاون و ١٠ منصات لإطلاق الصواريخ وغيرها من الأسلحة التي كانت متجهة إلى سوريا، لكن وفي وقت لاحق أصدرت بياناً قللت فيه من شأن أهمية ذلك، وتم ذلك على ما يبدو بناء على طلب منظمة الاستخبارات الوطنية التركية ٥٠ (TNIO).

في ١٧ كانون الأول/ديسمبر عام ٢٠١٣ أُلقت شرطة إسطنبول القبض - بعد تحقيقات موسعة - على بعض أبناء الوزراء، وعلى رجل أعمال معروف والرئيس التنفيذي لبنك خلق المملوك للدولة بتهم الفساد، وقد أشارت معلومات مسربة إلى أن أردوغان نفسه - الذي أصبح فيما بعد رئيساً للوزراء - وعدداً من أعضاء الوزارة - الذي استقال نتيجة لذلك أربعة منهم - كانوا متورطين بعمليات فساد، الأمر الذي أثار غضب الرأي العام، أطلق أردوغان على الفور هجوماً مضاداً، واصفاً عملية مكافحة الفساد بأنها محاولة انقلاب وخيانة شخصية، وبعد يوم طرد حكومة حزب العدالة والتنمية (AKP) بعض ضباط الشرطة، وعزلت آناً آخرين من مناصبهم وأُلقت في السجن العديد منهم، وخلصت دراسة لاحقة إلى أنه تم نقل ٥٠,٠٠٠ من ضباط الشرطة وأن الوحدات الرئيسية تم استبدالها، كهؤلاء المسؤولين عن مكافحة الإرهاب والاستخبارات، بضباط ينقصهم الخبرة والتدريب ٥١، وقد أشار تقرير لاحق إلى أن وزارة الداخلية قد فتحت تحقيقاً داخلياً ب ٣,٣٢٩ ضابط شرطة وتم طرد ٢٥١ ضابطاً منهم وتم الإعداد لطردهم ٧٧٦ آخرين وتم تقديم ١,٨٦٠ للمحاكمة بتهم مختلفة ٥٢، وتم إيقاف ١٠ مدعين من أعضاء النيابة العامة الذي أجروا تحقيقات ضد مصالح حزب العدالة والتنمية (AKP) عن العمل في مناصبهم. وحين التمعن في هؤلاء الذين تم إيقافهم عن العمل وضباط الشرطة الذين تم طردهم أو استبدالهم

49 - "Turkish Police Work with CIA, FBI to Fight Terrorism," Today's Zaman, 10 September 2006.

50 - "Adana'daki metal parc, alar roket bas,li'gi de'gil, havan mermisi kovanna benziyor," Zaman, 8 November 2013.

51 - GU€ SAM, 17/25 Aralık Su€recinin Emniyet Te,skilatının L_nsan Kaynakları Uygulamaları U€ zerineEtkisi (Ankara: Guvenlik Stratejileri Arastirma Merkezi, 2014).

52 - "3 bin 329 polise sorus,turma ac,ildi," Sabah, 4 February 2015.

أظهر أن أغلبهم يعمل في وحدات مكافحة الإرهاب والاستخبارات والجريمة المنظمة التابعة للشرطة الوطنية التركية (TNP) في العشر سنوات الأخيرة ومن قاموا بعمليات مكافحة إرهاب ضد شبكات تنظيم القاعدة وجماعات الجريمة المنظمة أو ممن اشتركوا بتحقيقات إيجينيكون سيئة السمعة. وهكذا فهؤلاء ممن يمتلكون الخبرة المباشرة لإسرار النخبة السياسية وتورطهم بأنشطة غير قانونية، ولا يقتصر الأمر على أن هؤلاء الضباط (ضباط الشرطة) يمتلكون خبرة فريدة من نوعها ومعرفة لا تثمن حول تحركات القاعدة داخل تركيا فحسب، بل هم أيضاً يمتلكون الخبرة في التعامل مع أجهزة تطبيق القانون الغربية ويعرفون قيمة ذلك التعاون، والعديد منهم تلقى تدريبه بالمؤسسات الغربية وبعضهم حصل على شهادة عليا من الجامعات الأمريكية، وأدركوا أن تنظيم القاعدة لا يشكل تهديداً للغرب فقط بل يمثل مشكلة دولية بنحوٍ خطراً على تركيا أيضاً، ومن بين الذين تم طردهم في وحدة شرطة إسطنبول الذي قاموا بعملية القبض على القيادي في تنظيم القاعدة لؤي السقا، وخمسة من المدعين من أعضاء النيابة العامة الذي تم توقيفهم عن العمل على سبيل المثال، ممن حققوا بطرق تهريب القاعدة التي ربما تتضمن شحنات الأسلحة التي تعدها منظمة الاستخبارات الوطنية التركية ٥٣ (TNIO)، والقول بأن هذا التطهير الذي أجرته الحكومة يعد ضربة قوية لقدرة تركيا على مواجهة الإرهاب هو في الحقيقة محل نظر.

صورت وسائل الإعلام المؤيدة للحكومة أن عملية التطهير التي قامت بها الحكومة يأتي في سياق جهودها الرامية لمحاربة جماعة غولن، وهي منظمة إسلامية معتدلة تعاون معها في السابق حزب العدالة والتنمية (AKP) في التدابير الرامية للحد من تدخل الجيش في الشؤون المحلية لتركيا، أنصار غولن الذين طالما وصفوا بأنهم ”البنية الموازية“ ضمن الدولة – ولاسيما ضمن الجيش والقضاء – تورطوا بأنشطة تخريبية، مع ذلك أن الفحص الدقيق يفصح عن أن هناك ثلاثة أسباب تقبع خلف الإجراءات التي تم اتخاذها بضباط الشرطة، الذين لا يمتلك أي أحدٍ منهم انتماء سياسي أو ديني، وأن بعضهم انخرط في التحقيقات المتعلقة بتحديد المتورطين من حزب العدالة والتنمية (AKP) وأردوغان نفسه في فضائح فساد والآخرين حققوا بموضوع اتحاد شعوب كردستان (KCK) الذي يمثل حزب العمال الكردستاني (PKK) الجناح العسكري له، وقد جمعوا معلومات حول اختراق منظمة الاستخبارات الوطنية التركية (TNIO) إلى اتحاد شعوب كردستان (KCK)، بما فيها أدلة حول تورط مخبري منظمة الاستخبارات الوطنية التركية (TNIO) بارتكاب جرائم كبرى من بينها قتل ضباط شرطة وطالبات مدارس، والمجموعة الثالثة من الضباط والمدعين تم طردهم؛ بسبب اشتراكهم بعمليات ضد القاعدة ومن ينتسب إليها ويشتهر بأنها تمتلك معلومات تم كشفها عن وجود صلات بين وحدات تابعة لمنظمة الاستخبارات الوطنية التركية TINOs والقاعدة وداعش.

53 –“Erdo`gan`ın emri ile IS, L_D`e silah g`onderildi,” Cumhuriyet, 23 July 2014; “I_s,te silah tas,riyan MI_T turlarıyla ilgili yayın yasa`ğı getirilen belgeler,” BirGun, 14 January 2015.

أفراد الشرطة واثقون من أن حزب العدالة والتنمية (AKP) يُتهم كثيراً في التستر على غسيله القذر بقمع شبكة غولن، وفي حوار خاص أشار ضابط بقوة إلى أن الحكومة أخفقت في اتخاذ أي إجراء ضد ضباط الشرطة التابعين لغولن الذين يعملون بوحدات تعمل بالتعليم وتحليل مسرح الجريمة أو في الوحدات المتمركزة في المراكز البعيدة أو في المدن الصغيرة، لكنهم سعوا خلف الضباط الذين يعملون ضد (KCK) ومنظمة الاستخبارات الوطنية التركية (TNIO) والفساد فقط ٥٤، وقد ذكر الضباط أنفسهم أن الرئيس التركي رجب طيب أردوغان له علاقة غامضة مع رجل الأعمال السعودي ياسين القاضي، الذي كان أحد المطلوبين على القائمة الأمريكية لموли تنظيم القاعدة، ودخل القاضي تركيا سبع مرات قبل أن يدرج اسمه في القائمة الأسماء المشتبه بهم بدعم الأنشطة الإرهابية.

خصص أردوغان له أحد حراسه الشخصيين وأرسله بطائرة خاصة إلى الخارج لجلبه إلى تركيا، وخلال شهرين من بقاءه في تركيا، الحرس الشخصي لأردوغان كانوا برفقته، والعميل رفيع المستوى الذي عين لحماية القاضي تم طرده من الشرطة الوطنية التركية، وخلال مثل الحارس الشخصي السابق أمام المحكمة كان يعترزم الدفاع عن نفسه عبر الكشف عن أنه كان يحمي القاضي، إلا أن القاضي (قاضي المحكمة) شدد على أن ذلك سرٌّ من أسرار الدولة ولا يسمح له بالكشف عما كان يفعله القاضي في تركيا، في الوقت الذي كان فيه على قائمة ممولي الإرهاب وتم حظر دخوله إلى البلاد ٥٥، إن تقاعس الحكومة عن السماح بتطبيق قانون أو عمليات جمع معلومات استخباراتية ضد شبكات تنظيم القاعدة وداعش، يجعل من تركيا ملاذاً آمناً للإرهابيين الأجانب، فقد نفذت المتشددة المنتمة لداعش من صال شيشاني، ديانا راموزونوفا هجوماً انتحارياً في ٦ كانون الثاني/يناير في مركز شرطة في حي السلطان أحمد التاريخي في إسطنبول، إذ عبرت إلى تركيا من سوريا بنحو غير شرعي ومكثت في إسطنبول لمدة ١١ يوماً قبل تنفيذ العملية، وأخفقت الشرطة في التحقق من وجودها في تركيا خلال الـ ١١ يوماً تلك وأخذت بضعة أيام بعد ذلك لتحديد هويتها . ٥٦

لم تمنع الحكومة التركية التحقيقات الإجرامية على شبكات القاعدة داخل تركيا من خلال ممارسة نفوذها على المدعين العامين والقضاة، فحسب بل منعت الإعلام أيضاً من نشر تقارير حول قضايا المحاكم والتحقيقات أو أي تحقيقات مستقلة تتعلق بالقاعدة، وعلى سبيل المثال حظرت المحاكم التركية على الإعلام تغطية العديد من التطورات الجهادية، والأكثر أهمية حينما انفجرت قنبلة في بلدة الريحانية (في مقاطعة هاتاي) أودت بحياة ٥٣ مدنياً في ١١ أيار/مايو ٢٠١٣، وقد كشفت وسائل الإعلام التركية أن أجهزة الاستخبارات التركية كانت على علم بالتحضيرات للهجوم لكنها لم تستطع فعل شيء

54 - Author's interview, anonymous ranked police officer, 31 January 2015.

55 - Alican Uludag, "Yasin el Kadıya hakim koruması," Cumhuriyet, 2 January 2015.

56 - "Sultanahmet Suicide Bomber Spends 11 Days in Istanbul before Attack," Today's Zaman, 16 January 2015.

لتفاديه، وقد مُنعت من الكشف عن أي تفاصيل أخرى، في العام ٢٠١٤ أقدم عنصران من داعش على قتل جندي وضابط شرطة ومدني في محافظة نيدا، وتم منع وسائل الإعلام التركية من جديد من الإبلاغ عن الحادث، وقد حرّر الصحفي أحمد سيك تقريراً بشأن تفاصيل المحادثات التلفزيونية في سجلات المحكمة، التي يناقش فيها أعضاء داعش صفقات سلاح، وكان ضباط تطبيق القانون الأتراك يتنصتون على المكالمات الهاتفية، إلا أنهم لم يمنعوا نقل الأسلحة إلى داعش، مباشرةً وبعد هذا التقرير تلقى الصحفي تهديداً من وكالة الاستخبارات التركية وتحذيرات من الشرطة التركية. ٥٧

شرعنة الإسلام الراديكالي في تركيا:

منذ العام ٢٠١٠، ومع تزايد انخراط السياسة الخارجية التركية في الشؤون الشرق أوسطية، أفصح خطابها عن تركيز إسلامي متزايد، وخطاب أردوغان في المؤتمر الكبير لحزب العدالة والتنمية (AKP) في ٣٠ أيلول / سبتمبر ٢٠١٢ قد جسّد التوجه الأيديولوجي الجديد للحزب؛ إذ عمل على شيطنة الغرب وركز بصورة استثنائية على القيم الإسلامية، ويقول المحللون المواليون لأردوغان أن خطاب الأخير هو خطوة باتجاه إعادة صياغة الخطاب الإسلامي وتطبيعته وفي الحقيقة أن ذلك يمثل تعريفاً جديداً للقيم العالمية التي ترفض كلاً من محورية أوروبا والسياسات المتعلقة بالعالم الثالث، إذ إن أردوغان لا يفضل السياسات الموجهة للغرب على حساب تلك المتمحورة على العالم الثالث أو العكس، والمعلقون الليبراليون يرون أن الزجج المتزايد للدين والأطروحات المحافظة في خطاب أردوغان يلمح إلى تشكيل "قومية جديدة" تعلي من شأن القيم الدينية وتهمج عنصر العلمانية القوية بحسب الرؤية الأتاتوركية ٥٨، وهناك كلمتان جديدتان دخلتا للمعجم السياسي لأردوغان مؤخراً تتم عن ارتباط وثيق بالإسلام السياسي وهما: "رابعة" و"غزة". أما رابعة فهي إشارة (إيماءة) اليد، العلامة التي تظهر أربعة أصابع على اليد اليمنى للإخوان المسلمين المستخدمة في وسائل التواصل الاجتماعي وفي المظاهرات للاحتجاج على الانقلاب في مصر التي أطاحت بمحمد مرسي، واستخدم أردوغان رابعة كرمز لحملة الانتخابية، وفي الوقت الذي ربط نفسه بالإخوان المسلمين في مصر ورمى باللائمة على الغرب وإسرائيل على الانقلاب الذي جاء بالجيش المصري إلى السلطة، فإن رابعة بالنسبة لأردوغان - وحزب العدالة والتنمية (AKP) - تأخذ معنى أكبر، فهي ترمز إلى مقاومة الإسلاميين إلى الغرب، أما مصطلح غزة فهو لا يمثل بالنسبة لأردوغان وأتباعه مجرد اسم لمدينة فلسطينية، بل هي ترمز إلى المقاومة والإسلام والعدالة والكفاح المناهض للغرب ٥٩، وحينما يتحدث أردوغان أو المتحدث باسم العدالة والتنمية (AKP) عن غزة كما لو أنهم أشاروا إلى مدينة تركية،

57 - "Ahmet S, ik suikast iddiasını, 'suikastc, ısı' Mihrac, Ural'a sordu," Available at sendika.org (accessed 21 February 2015).

58 - Soli Oç zel, "Anayasa MHP'yle yapılacak gibi," Habertürk, 1 October 2012.

59 - "Israel Behind Coup to Oust Morsi, Turkish PM Erdoğan Says," Hurriyet Daily News, 20 August 2013.

وحول العديد من مناصري حزب العدالة والتنمية (AKP) غزة إلى مسلمة من مسلمات الإيمان، فالنائب عن حزب العدالة والتنمية (AKP) على سبيل المثال قد ذهب إلى أبعد من ذلك، خلال نقاش على وسائل التواصل الاجتماعي، بالادعاء بأن دعم القضية الفلسطينية هو جزء أساسي من إيمان المسلم ٦٠. في العام ٢٠١٢ أكد أردوغان بقوله: "نحن نريد خلق جيل متدين" ٦١ وذلك ثبت أنه أكثر من مجرد شعار، وفي السنوات الأخيرة الماضية ضاعفت حكومة حزب العدالة والتنمية عدد المدارس الدينية المتوسطة والثانوية (مدارس إمام -خطيب IHL) وأطلقت حملة إصلاح دينية واسعة بضمنها إضافة دراسات القرآن واللغة العثمانية وحياة النبي محمد إلى مناهج التعليم العامة، وقد أسس ابن أردوغان (وابنته) مؤسسة لدعم الشباب المتدينين من خلال توفير المسكن والمنح الدراسية لهؤلاء الذين هم في أمس الحاجة لها، وقد "شجع" كبار رجال الأعمال للقيام بما يشار إليها باسم "تبرعات إجبارية" بملايين الدولارات ٦٢ إلى مؤسسة عائلة أردوغان، مؤسسة الشباب والتعليم في تركيا (TURGEV) توفر لها البلديات المحلية الأرض والمرافق ٦٣، طلبوا رجال الدين المسلمين إصدار فتوى -راي إسلامي شرعي- بشأن شرعية التبرع التي يشار إليها بـ "بالتبرعات الإجبارية" من رجال الأعمال إلى مؤسسة الشباب والتعليم (TURGEV) ٦٤.

شارك المعلم من مدارس إمام - خطيب (IHL) من مدينة صغيرة في الأناضول بملاحظة حول مشروع أردوغان "للشباب المتدين" وقد أوضح أن معظم طلابه ليسوا أتقياء وقليل منه م من يؤدي الصلوات اليومية، ومع ذلك فإن أغلبهم يمتلك رؤية إسلامية عالمية قوية إذ يؤمن أغلبهم بما أخبرهم به أردوغان ويقبلون فكرة أن الغرب عدو لتركيا، ومع ذلك وعلى الرغم من تقاربهم الأيديولوجي مع الإسلام السياسي، إلا أنه لا يعتقد أن أيًا من طلاب مدرسته يمكن أن يندرج إلى المنظمات الإرهابية الراديكالية ٦٥. وهناك معلم آخر من مدارس إمام -خطيب (IHL) في إسطنبول علّق تعليقاً مشابهاً، في الوقت الذي فيه أغلب طلابه هم "UMMETCI" (الأشخاص الذين يؤمنون بوحدة العالم الإسلامي بدولة واحدة) ومعادون للغرب ومهتمون بالالتحاق إلى الحركات الجهادية في سوريا أو أي مكان، وهم من الطلاب الذين كان أداؤهم سيئاً في دراستهم، إذ قال: إن المعلمين الإسلاميين الراديكاليين تم تعيينهم في مدارس إمام -خطيب (IHL)، بأعداد متزايدة وربما يؤثرون بالطلاب للالتحاق بالجهاديين على الأمد البعيد ٦٦.

60 - Author's conversation with AKP's Gaziantep deputy Ali Sahin, 24 February 2015.

61 - "Dindar genc, lik yetis, tirece" giz," Hurriyet, 2 February 2012.

62 - Mustafa Cakir, "99 milyon 999 bin 990 dolar ba'gis,ms,," Cumhuriyet, 9 April 2014.

63 - Emre Baylan, "TURGEV'in," Hurriyet, 4 September 2014

64 - Idris Emen, "Kirlendik ey cemaat," Radikal, 16 February 2014. Available at http://www.radikal.com.tr/turkiye/kirlendik_ey_cemaat-1176934

65 - Author's interview with a IHL school teacher, 30 January 2015.

66 - Author's interview with IHL school teacher from Istanbul, 30 January 2015

الدعم السياسي لاردوغان للمتعاطفين مع القاعدة:

منذ اندلاع فضائح الفساد، حاول أردوغان بنحوٍ متزايد الظهور بمظهر الورع واستخدام الخطاب الإسلامي المتطرف كوسيلة لحماية نفسه من الانتقادات، وفي سياق محاربة حركة غولن (المعتدلة) اعتمد أردوغان على المعارضين الدينيين لغولن، وكان أغلبهم متعاطفين مع شبكات الإسلام الراديكالي كتنظيم القاعدة وداعش، ومن بينهم جماعة صغيرة تعرف بـ (المفسرين Tahsiyeciler) الذين كان زعيمهم محمد دوغان وهو من المؤيدين صراحةً لأسامة بن لادن. وفي كتابه (اسرارنيم) أوضح "أن هناك حرب عصابات جارية، وزعيم هذا الكفاح هو القوي أسامة بن لادن سلف النبي، وأسامة هذا ستزيد قوته وسيتغلب على أمريكا في الشرق الأوسط وسيمضي قدماً إلى فلسطين من أجل تأسيس الدولة الإسلامية، وفيما بعد سيسلم قيادة تلك الدولة إلى المهدي (مسيح المسلمين)، وبعد ذلك سيؤسس نظاماً إسلامياً وسيحكم العالم بأكمله إلى جانب النبي عيسى ٦٧، وقد ضمن دوغان في كتابه "الحديث" النص الآتي: "... ستظهر راية من المشرق ويحمل هذه الراية شعيب بن صالح من قبيلة تميم" افترض دوغان أن ذلك الحديث يشير إلى أسامة بن لادن، وأن قبيلة تميم تعيش في اليمن موطن أسامة بن لادن ٦٨.

وبسبب دعمه المفترض إلى أسامة بن لادن ولشبكة القاعدة تم اعتقال دوغان ومرافقه في العام ٢٠١٠ حينما كان أردوغان يقف بشدة ضد الراديكالية الإسلامية، وحينما تطور الصراع بين حزب العدالة والتنمية (AKP) وأنصار غولن اتهم أردوغان أنصار غولن بالأنشطة العدائية ضد جماعة محمد دوغان (المفسرين) والجماعات الإسلامية الأخرى، وراحت وسائل الإعلام المؤيدة لأردوغان تنشر العناوين، وتصور جماعة محمد دوغان كضحايا أبرياء من شبكة غولن ٦٩.

وذهب أردوغان والمؤسسات الإعلامية التابعة لحزب العدالة والتنمية إلى ابعده من ذلك حينما زود الداعم المعروف لداعش حليس بوينكوك بأوراق إثبات شخصية، وأجرت صحيفة ستار مقابلة مع بوينكوك واستنتجت أنه بريء من دعم داعش، وأنه ضحية لشبكة غولن الدعائية ٧٠، إلا أن خطبة بوينكوك لمدة ساعة -وهي متاحة على اليوتيوب- تظهر خلاف ذلك، ويرى بوينكوك: أن الغرب يعرف أن داعش لا يريد سوى أمرين: الأول: الجلوس مع الغرب لمناقشة قضايا المسلمين، والثاني: قبول حكومة ديمقراطية انتقالية في سوريا، إن الحرب الجارية ضد داعش هو عملية لاستهداف العقيدة (المبادئ الأساسية للإسلام) وطرده المهاجرين (المهاجرون كإشارة للمقاتلين الأجانب وأسرههم) من سوريا، ومن يدعم هذا

67 - Emre Uslu, "Does Erdođan Really Support an al-Qaeda Preacher?" Today's Zaman, 19 December 2014; Nazili Ilıcak, "Askeri Lstihbarat ve Tahsi,yeciler," Bugun, 2 January 2015.

68 - Mehmet Do'g; an, Esrarname (n.p., 2003), p. 11.

69 - Gu'len'i ilk kez ac, 1'ga du's,u'fren operasyon: Tahsi,yeciler," Sabah, 12 December 2014.

70 - Muharrem Coskun, "Halis Bayancuk: 'Ter'or lideri' yaptılar, 'Gu'len' ile sorguladılar," Star, 22 December 2014.

بدون أدنى شك هم الكفار“ ٧١.

دعم أردوغان أيضاً صالح ميرزابيك أوغلو زعيم جبهة المهاجمين الإسلامية الشرقية الكبرى (IBDA-C)، التي صنفت كمنظمة إرهابية من قبل وزارة الخارجية الأمريكية، ونظمت العديد من الهجمات ضد مصالح الولايات المتحدة بضمنها الهجوم على القنصلية الأمريكية العامة في إسطنبول، ويعتقد أن الجماعة على صلة بتنظيم القاعدة ٧٢، وفي مقابلة تلفزيونية أوضح أردوغان أن صالح ميرزابيك أوغلو -الذي زج في السجن فيما بعد لتورطه بالإرهاب- يجب أن يطلق سراحه مباشرة، بعدها أصبح حراً طليقاً، واتصل به أردوغان وقدم له التهاني، وبعدها بأيام قليلة التقى به شخصياً ٧٣، وكما لوحظ فإن حكومة حزب العدالة والتنمية متعاطفة مع الإسلاميين الراديكاليين التي سمحت بالسنوات الأخيرة للنقاش الجهادي بالسيطرة على الخطاب الإسلامي السياسي التركي، الذين بإزاء ذلك شجعوا الشباب التركي بالانضمام إلى الجهاد في سوريا، وفي الوقت الذي يقع فيه الصحفيون الأتراك تحت وطأة المضايقات تظهر المواقع الجهادية في كل مكان، وموقع (Takvhaber.com) (التقوى أخبار) مثال على ذلك، فهو يدعم داعش صراحة، لكن لم يرق أي مدع من الادعاء العام بفتح قضية ضدها، وقد أفادت وسائل الإعلام التركية بأن داعش في نزهة في اسطنبول بحضور المئات من المناصرين ومن دون أي تدخل ٧٤.

من أجل فهم تأثير تسامح حكومة حزب العدالة والتنمية المتزايد مع الإسلام الراديكالي، فمن المفيد هنا مقارنة عدد الجهاديين الأتراك الذين يقاتلون الولايات المتحدة في العراق بين الأعوام ٢٠٠٣ و ٢٠١١ وهم الآن منخرطون مع داعش والعناصر الجهادية الأخرى في سوريا، وفي الحقيقة لا يوجد رقم مؤكد بشأن عدد المواطنين الأتراك الملتحقين بالجهاد في العراق، لكن هذا بسبب أن الرقم غير فهم، فهو -ربما- أقل من ثلاثة، مع ذلك فقد أفادت كل من وسائل الإعلام التركية والدولية عن الأعداد المتنامية من الجهاديين الأتراك في سوريا التي تقابل مع داعش كجبهة النصرة والجماعات الإسلامية الأخرى، وعلى وفق مقالة نشرت في آب/أغسطس ٢٠١٤ في داي ولت (Die Welt)، فإن أكثر من ألف من الأتراك التحق في داعش وحدها ٧٥، وذلك يمثل بداية الزيادة في الانخراط التركي.

في العام ٢٠١٢ قدر ذلك العدد بحوالي ٥٠ جهادياً تركياً ينشطون في سوريا، ومشاركة هذا العدد الكبير من الجهاديين الأتراك يمكن يعزى إلى حد كبير إلى دعاية حزب العدالة والتنمية (AKP) التي على

71 - Emre Uslu, "Introducing the Victims of the 'Parallel State,'" Today's Zaman, 26 December 2014

72 - David O'Byrne, "Al-Qaeda Links to Istanbul Attack," 9 July 2008. Available at <http://news.bbc.co.uk/2/hi/europe/7498772.stm>

73 - "Cumhurbaşkanı Erdoğan, Salih Mirzabeyoğlu ile görüştu," CnnTurk.com, 1 December 2014. Available at

<http://www.cnnurk.com/haber/turkiye/cumhurbaskani-erdogan-salih-mirzabeyo-glu-ile-gorustu> (accessed 31 January 2015).

74 - "IS, I_D, I_stanbul'da cihat c, a_gnı yaptı!" Sozcu, 29 July 2014.

75 - "Die Welt: IS, I_D'in Yu€zde 100u Tu€rk," haberler.com, 5 August 2014 (accessed 31 January 2015).

سبيل المثال تنشر معاناة النساء والأطفال في ظل نظام الأسد، وكثيراً ما ألقى أردوغان باللائمة على الغرب لفشله بالاستجابة إلى الفضائع التي يرتكبها الأسد والجيش المصري، -وأنا شاهدت ١٥ فيديو جهادياً متاحاً على الإنترنت وهو أفضل تقييم للدوافع التي تحرك هؤلاء الجهاديين- ثلاثون منهم شدد على أن النساء السنيات المسلمات والأطفال قد تعرضوا إلى الاعتصاب والقتل، ووجدوا أن تجربتهم في الجهاد قد عملت على شفاء صدورهم، وفي الوقت الذي يفصح فيه الإطار الرئيس لعناوين وسائل الإعلام على أنها دعاية إلا إنها تُعدُّ وبدقة عن مشاعر رعاياهم .

كان لدعاية حزب العدالة والتنمية تأثير كبير على الرأي العام التركي، إذ إن ٦٦ ٪ من ناخبي حزب العدالة والتنمية و ٥٥ ٪ من عموم الأتراك يعتقدون أن هناك حرباً "صليبية" غربية ضد الإسلام، و ٢٠ بالمئة من الأتراك وجدوا أن هجمات شارلي أيدو في فرنسا لها ما يبررها، وكان هناك ارتفاع مفاجئ من نسبة الأتراك الذين يؤيدون العنف - من ١٣ إلى ٢٠ بالمئة، والآن يوجد عدد هائل من الأتراك يوافقون على العنف باسم الدين ٧٦، والبحث الذي أجراه عالم السياسة جونيس مراد تيزكور وصبري سيفتك أظهر أن ظروف الجهاديين الأتراك ودوافعهم ليست نفسها التي عادة ما تنسب إلى الراديكاليين الإسلاميين من جنسيات أخرى .

إن معظم الكتابات التي تناولت التطرف سلطت الضوء على دور الحرمان النسبي وعدم وجود طبقة وسطى إسلامية قوية والشبكات الاجتماعية التي تعمل على إبعاد الشباب المسلم عن بقية المجتمع، أو وقوعهم ضحايا على أيدي سلطات الدولة القمعية، لكن أغلب المقاتلين الأتراك لهم بنى أسرية مستقرة تندمج بشبكة مجتمعية قوية، زد على ذلك أن تركيا يحكمها حزب إسلامي في السنوات ١٢ الأخيرة ومن هنا فالمقاتلون الحاليون ليس لديهم خبرة بالقمع الديني للدولة، على خلاف البلدان الأخرى في المنطقة، فإن تركيا توسعت في اقتصادها وانتشرت عدداً كبيراً من مواطنيها من الفقر، وعلى الرغم من أن عدم المساواة بين الجماعات لم ينحسر إلا أنّ معظم المواطنين الأتراك أصبحوا بحال أفضل خلال حكم حزب العدالة والتنمية (AKP)، وأغلب هؤلاء الذين التحقوا بالجهاد في سوريا هم من المستفيدين من تزايد الثروة ٧٧. وقد أوضح كل من تيزكور وسيفتسي في بحثهما، الدور الذي أدّته رعاية حزب العدالة والتنمية (AKP) للمنظمات الإسلامية في تحفيز الأنشطة المتطرفة، وتلك المنظمات قامت وبنجاح في الحلول محل البنى الإسلامية الرسمية وغير الرسمية.

76 - "Survey: 20 Percent of Turkish Public Approves of Use of Violence in Name of Islam," Today's Zaman, 2 February 2015.

77 - Gunes Murat Tezcur and Sabri Ciftci, "Radical Turks: Why Turkish Citizens are Joining ISIS," Foreign Affairs, 11 November 2014

تأجيج المشاعر المعادية لأمريكا:

انتشرت المشاعر المعادية لأمريكا في تركيا منذ عقود وقد جادل عمر تاسبينار بقوله: إن المشاعر المعادية لأمريكا ترتبط بمشاكل الهوية الخاصة بتركيا، وتحديداً شعورها المتناقض لنفسها كأمة مسلمة، والقضايا التي تثيرها القالية الكردية الكبيرة، ويعتقد الأتراك على اختلاف مشاربهم السياسية أن الولايات المتحدة تدعم حزب العمال الكردستاني (PKK) وتأسس كردستان مستقلة، وعلى الرغم من حقيقة أن الاستخبارات الأمريكية أدت دوراً محورياً في إلقاء القبض على مؤسس حزب العمال الكردستاني عبد الله أوجلان في كينيا في العام ١٩٩٨، إلا أن الأتقياء الترك يرون سياسات الولايات المتحدة ونشاطاتها في المنطقة ترتكز بنحو كبير على العداء للإسلام ولاسيما التسامح الأمريكي مع قادة المؤسسة العسكرية المصرية الذين أطاحوا بحكومة الإخوان المسلمين في مصر ٧٨ .

بلا شك أن المشاعر المعادية لأمريكا في تركيا هي في الأساس ردُّ فعل على سياسات الولايات المتحدة، لكنّ الفاعلين السياسية حفزوا تلك المشاعر واستغلوا المشاعر المعادية لأمريكا لمنافعهم الخاصة، والاختلاف هنا يكمن في الكيفية التي انخرط فيها هؤلاء الفاعلون في هذا التكتيك، وذلك تبعاً للظروف. في عقدي السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي كانت الجماعات اليسارية في الأغلب هي من استغل المشاعر المعادية لأمريكا، وفي التسعينيات من القرن الماضي التحق الإسلاميون باليساريين، وامتزج العداء لأمريكا مع المشاعر المعادية لإسرائيل والسامية التي تراجعت في وقت سابق، ويعتقد (الإسلاميون السياسيون الأتراك يعتقدون أن إسرائيل كانت وراء ما يسمى بـ ”الانقلاب الناعم“ أو ”مابعد الحداثة“ ضد حكومة الإسلامي أركان في العام ٩٩٧١).

وحيثما تسنّم حزب العدالة والتنمية السلطة أول مرة، ظلت المشاعر المعادية لأمريكا والغرب كامنة في الحرس القديم للنظام الكمالي والقوميين الجدد ٧٩، مع ذلك فإن مظاهرات غازي بارك ضد دعم أردوغان لمشروع البناء آثار حملة حادة من الخطاب المعادي لأمريكا والسامية من جانب المتحدثين باسم أردوغان وحزب العدالة والتنمية، وفي الحقيقة كان ذلك مفاجئاً لمن هم في الخارج، وهم يرون كيف أن حزب العدالة والتنمية (AKP) وأردوغان ألقيا باللائمة بسرعة على الولايات المتحدة، (حليف تركيا)، بمزاعم ترتبط بمحاولتها إثارة انقلاب من خلال تلك المظاهرات الاحتجاجية ٨٠.

ولم يمض وقت طويل على مظاهرات غازي بارك حتى واجه أردوغان فضيحة الفساد بتاريخ ١٧ كانون الأول/ديسمبر عام ٢٠١٣، وأسهل طريق لمواجهة النقد الموجه له ولرفاقه كان إلقاء اللوم على الولايات المتحدة من جديد، وخص بالذكر السفير الأمريكي في تركيا فرانسيس ريتشاردوني؛ الأمر الذي

78 - Omer Taspinar, "The Root Causes of Turkish Anti-Americanism," Today's Zaman, 10 June 2012.

79 - Emrullah Uslu, "Ulusalçılık: The Neo-Nationalist Resurgence in Turkey," Turkish Studies 9(1) (2008).

80 - Zachary Laub, "Erdogan's Grip on Turkey," 7 February 2015. Available at <http://www.cfr.org/tur/key/erdogan-grip-turkey/p33328>.

يعني ضمناً ضلوعه في التحقيق بالفساد. صرّح أردوغان مؤخراً بقوله: ”أنه لمن الغريب جداً أن يقوم بعض السفراء في بعض الأعمال الاستفزازية، أنا أدعوهم: قوموا بواجباتكم نحن لا نزيدكم في بلدنا“ ٨١، وفي اليوم التالي جاءت عناوين أربع صحف موالية للحكومة تلوم السفير الأمريكي على التحقيقات التي تقوم بها الشرطة، وجاء عنوان صحيفة يني شفق (Yeni Safak) ”اخرج من بلادنا“ ٨٢ ورد ريتشاردوني أن هذه التهم الموجهة ضده كانت محض ”كذب“ و”افتراء“، وكشف استطلاع أجره مركز بيو للأبحاث عن مدى نجاح حملة أردوغان في تأجيج المشاعر المعادية لأمريكا، ففي العام ٢٠١٤ كان هناك ٧٣ بالمئة من الأتراك الذين شملهم الاستطلاع يكرهون أمريكا ٨٣.

إن الشعور المعادي لأمريكا لدى القوميين الجدد والإسلاميين ينبع من وجهات نظر مختلفة، فالقوميين الجدد -وأغلبهم كانوا من الخط الشيوعي القديم- ينتقدون ما يعدونه سياسات إمبريالية أمريكية حيال تركيا تحديداً، فعلى سبيل المثال هم يعارضون تنصيب حلف الناتو أنظمة الرادار في الأناضول، أما الشعور المعادي لأمريكا لدى الإسلاميين فيجد جذوره في الدين، إذ يحمل الإسلاميون الولايات المتحدة مسؤولية المعاناة ليس في تركيا فحسب بل في جميع أنحاء العالم الإسلامي أيضاً، في فلسطين ومصر وحتى في الصومال، وحكومة حزب العدالة والتنمية (AKP) لم تثير موضوع أنظمة الرادار التابعة للناتو إلا أنها دانت دعم الولايات المتحدة لإسرائيل وللمؤسسة العسكرية المصرية، كما هو موضح أعلاه التي أطاحت بالإخوان المسلمين وحكومة محمد مرسي، وكما لاحظ أحمد كورو أن معادة أمريكا لدى القوميين الجدد ليست موجهة للثقافة الأمريكية -طالما أن القوميين الجدد يتبنون نمط الحياة الغربي بنحوٍ أساس- بقدر ما هي موجهة للسياسات الأمريكية والغربية، ويرى الإسلاميون السياسيون على الجانب الآخر أنهم جزءٌ من حضارة متميزة عن الغرب ٨٤، إن المشاعر المعادية لأمريكا والغرب ستسيء إلى العلاقات مع الولايات المتحدة وأوروبا إلا أن معادة أمريكا تنصهر مع المشاعر الإسلامية ويتم استغلالها وتضخيمها من قبل السياسيين الشعوبيين، الذي سرعان ما يصبحوا تهديداً للأمن الغربي.

ربما ينظم القوميون الجدد مظاهرات في الشوارع ضد المصالح الأمريكية وأنشطتها في تركيا، لكن معادة الولايات المتحدة لدى الإسلاميين السياسيين يغذي ويشرعن الخطاب الجهادي ويعمل على تسهيل تجنيد المتشددين الشباب، وكما ذكر آنفاً فإن نتائج المسح كشفت أن أردوغان ورفاقه يسعون إلى استغلال المشاعر المعادية لأمريكا لمصالحهم السياسية وزيادة عدد الجهاديين الأتراك والعدد الأكبر من الأتراك الذين يؤيدون استخدام العنف باسم الإسلام.

81 - Hakki Tas, "Anti-Westernism in Turkey," 11 March 2014. Available at opendemocracy.net, (accessed 5 February 2015).

82 - "Cek git bu ulkeden," Yeni Safak, 21 December 2013.

83 - Jacob Poushter, "The Turkish People Don't Look Favorably upon the U.S., or Any Other Country, Really," pewresearch.org, 31 October 2014 (accessed 15 February 2015).

84 - Author's interview with Associate Professor Ahmet Kuru, San Diego State University, Department of Political Science, 7 February 2015.

إسطنبول: عاصمة الإسلاميين العالمية:

بطبيعة الحال فإن معاداة الولايات المتحدة بحد ذاته لا يؤدي إلى تجنيد الإسلاميين، إلا أن الشبكة ذات التنظيم الجيد للإسلاميين المحليين المتعاطفين مع القاعدة وتتصل بالشبكة الدولية المعقدة هي المسؤولة أساساً عن زيادة الجهاديين الأتراك، وفي السنوات الأخيرة أصبحت تركيا ولاسيما إسطنبول العاصمة العالمية لشبكات الإسلاميين، والمنظمات المتشددة مثل داعش والقاعدة تستخدم إسطنبول كمركز عملياتي؛ ومن أجل عبور المسلحين إلى سوريا يجب أن يكون هناك دعم لشبكة من أجل الترتيب السري للسفر، ويبدو أن القاعدة وداعش لديهم مرافق سرية في كل من إسطنبول وغازي عنتاب، ومن الواضح أن الانتحارية ديانا رامازانوفات بقيت في هذه المخابئ قبل هجومها على مركز للشرطة في إسطنبول ٨٥.

عززت تركيا من شرعيها في العالم الإسلامي من خلال دعمها القوي للإخوان المسلمين وحماس، وفي الوقت الذي لا يشكل فيه أي من تلك المنظمات تهديداً مباشراً للأمن الغربي (على الرغم من أن وزارة الخارجية صنفت حماس كمنظمة إرهابية بسبب هجماتها ضد إسرائيل)، إلا أنها رموز للمقاومة ضد كل من إسرائيل والأنظمة مثل مصر والسعودية التي تتحالف مع الغرب، وقد أشاد رئيس المكتب السياسي لحماس خالد مشعل الذي ظهر في مؤتمر حزب العدالة والتنمية في كانون الأول/ديسمبر بالدعم التركي لقضايا المسلمين ٨٦، وقد أفادت هآرتس بأن تركيا ربما قدمت لحماس ٣٠٠ مليون دولار كمساعدات من أجل أن تحل محل التمويل الإيراني المنخفض ٨٧، ويدير الإخوان المسلمون قنوات تلفزيون وراديو في إسطنبول ييثر بانتظام إلى الجمهور المصري ٨٨، وقد لاحظ دبلوماسي تركي أن إدارة أردوغان قررت أن تركيا بلد شرق أوسطي، الأمر الذي يعني أن بعض الجهات في المنطقة يجب أن تعامل على أنها فواعل خطيرة: شركاء أو حلفاء أو أعداء، وفي الحقيقة "من الممكن أن نبقى متجاهلين تلك الفواعل من غير الدول" ٨٩.

الدبلوماسي له وجهة نظر، لكن هو في الوقت نفسه اعترف بأن تركيا تخلت عن مكانتها شريك بالاستقرار والدولة الوسيطة التي تحتفظ بعلاقات جيدة مع الشرق والغرب والمسيحيين واليهود. وبدلاً من ذلك قرر أردوغان بأن تصبح تركيا شريكاً بالحروب بالوكالة للشرق الأوسط؛ لذا هو وضع تركيا كمصدر تهديد للغرب ومساهم رئيس في عدم الاستقرار الإقليمي.

85 - Toygun Atila, "Sultanahmet bombacısı Diana Ramazanovaa'nın sırları," Hurriyet, 16 January 2015.

86 - "Halid Mes,al: TuErkiye MuEsluEmanlar ic, in bir guFc, kayna"gdır," Sabah, 27 December 2014.

87- Zvi Bar'el, "Turkey May provide Hamas with \$300 million in annual aid," Haaretz, January 28, 2012.

88 - Fatma Aksu, "Rabia Medya Center," Hurriyet, 3 February 2015.

89 - Pinar Tremblay, "Is Turkey Hamas' New Headquarters?" Al-Monitor.com, 25 August 2014.

هل هناك تحوّل بالسياسة حيال الجهاديين:

أفادت الصحافة الدولية في تموز ٢٠١٥ بأن تركيا قد وقعت رسمياً اتفاقاً مع الولايات المتحدة تفتح بموجبه قاعدة إنجريك الدولية أمام التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة ضد متشددى الدولة الإسلامية، والاتفاقية تتعلق فقط بمقاتلة الدولة الإسلامية ولا تتضمن دعم المقاتلين الكرد في شمال سوريا، هذا ما أدلى به المتحدث (باسم الخارجية التركية) تانجو بلجك أمام الصحفيين باختصار ٩٠.

في الأسابيع التي تلت ذلك الإعلان، كثفت تركيا من عملياتها ضد الجماعة المشددة، فلم يقتصر الأمر على منح الطائرات الحربية الأمريكية إمكانية الوصول إلى القاعدة الجوية قرب الحدود السورية فحسب، بل استخدام طائراتها الحربية لتنفيذ ضربات جوية كجزء من الحملة التي تقودها الولايات المتحدة ضد الدولة الإسلامية، في ٢٩ آب / أغسطس أصدرت وزارة الخارجية التركية بياناً جاء فيه "أن القتال ضد المنظمة الإرهابية يشكل أولوية بالنسبة لتركيا، ومقاتلاتنا الحربية مع طائرات تعود للتحالف بدأت اعتباراً من يوم أمس بتنفيذ ضربات جوية مشتركة ضد أهداف داعش التي تشكل تهديداً ضد أمن بلادنا» ٩١. قد يعتقد أحد أن قرار تركيا بفتح القواعد الجوية الرئيسة للتحالف الذي تقوده الولايات المتحدة ضد متشددى داعش يمثل تغيير جوهري في السياسة التركية حيال الجهاديين، إلا أن ذلك لم يحصل ففي الحقيقة في الليلة التي تمت فيها الغارة الجوية التركية ضد داعش، وقامت تركيا أيضاً بشن هجمات جوية ضد معسكرات حزب العمال الكردستاني (PKK) شمال العراق، وبررت تركيا هذه الحركة بالادعاء أن حزب العمال الكردستاني (PKK) قد أنهى وقف إطلاق النار بعد التفجير الانتحاري الذي وقع في المدينة التركية سروج التي أسفرت عن قتل ٣٢ شخصاً، والضحايا كانوا من مناصري حزب العمال الكردستاني (PKK) ومن الحزب الانفصالي الكردي في تركيا والمنتمين إلى وحدات حماية الشعب (YPG) الجماعة التركية التي تقاتل حالياً ضد داعش في سوريا.

يعتقد العديد من الكرد إما أن الحكومة قد دبرت التفجير وإما أن التفجير قد وقع بسبب عدم اهتمام حزب العدالة والتنمية (AKP) إلى الأمن، ولطالما قال حزب العمال الكردستاني إن الدولة تدعم داعش؛ لذا بعد التفجير شن حزب العمال الكردستاني (PKK) حملة عنف ضد الشرطة التركية وقوات الأمن، وبدأ الكرد الأتراك بالعنف في الشوارع، وقتل متشددو حزب العمال الكردستاني اثنين من ضباط الشرطة في بيوتهم احتجاجاً على تفجير داعش الانتحاري، وادعى المسؤولون الأتراك أن حزب العمال الكردستاني قد حرق وقف إطلاق النار بقتله الضابطين، وكرد فعل على ذلك قامت المقاتلات التركية بقصف معسكرات حزب العمال الكردستاني.

90 - Tulay Karadeniz, "Turkey Signs Deal to open air bases to U.S.-led coalition," Reuters, July 29, 2015.

91 - "Turkish jets attack IS Syria targets" accessed October 20, 2015, <http://www.bbc.com/news/world-middle-east-34096642>.

إن الحملة التركية ضد حزب العمال الكردستاني ليست مجرد ردّ انتقامي على هجمات حزب العمال الكردستاني على ضابطي الشرطة، بل هي ترتبط بشدة بقرار فتح القواعد الجوية أمام التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة ضد داعش، وقد جادل أيان برمر قائلاً: إن قرار تركيا الالتحاق بالتحالف الذي تقوده الولايات المتحدة لقتال الدولة الإسلامية يتأتى من جانب منه بالتهديد الذي يشكله المكاسب الإقليمية السريعة التي حققها (YPG) في سوريا، والکرد في عموم المنطقة سعوا تاريخياً إلى دولة مستقلة وهو الأمر الذي تعارضه الحكومة التركية بشدة ٩٢، في الحقيقة وفي سياق الاستجابة إلى تفجيرات سروج شنت الشرطة التركية مدهامات عسكرية في عموم البلد، تربو على أكثر من ١,٣٠٠ مشتبه به في غضون أيام، إلا أنّ عدد أعضاء متشددى حزب العمال الكردستاني (PKK) الذي تم اعتقالهم يتجاوز عدد المنضوين إلى داعش أكثر من نسبة ٦ إلى ١، وبين ٢٣ تموز/يوليو و٢٦ تموز/يوليو شنت ٧٥ طائرة تركية ١٥٥ طلعة جوية على ٤٠٠ هدف أو نحوه لحزب العمال الكردستاني، فيما كانت الأهداف ضد داعش ثلاثة! ٩٣

ومن هنا فإن قرار تركيا بفتح قواعدها الجوية للتحالف الذي تقوده الولايات المتحدة لا يمثل تحولاً في سياستها حيال الجهاديين بقدر ما يمثل استمراراً لتلك السياسة، ولطالما حملت الاستراتيجية التركية في دعم الجماعات الجهادية ثناياها هدفين مزدوجين: الأول: تنحية الأسد من السلطة، والثاني: منع الكرد من تأسيس إقليم مستقل في شمال سوريا، وحالما أصبح الكرد الحليف الرئيس للولايات المتحدة في المنطقة، نجحوا في السيطرة على الإقليم الواقع بين منطقتين يقطنها الكرد وهما كانتونات الجزيرة وكوباني، كما يسميها الكرد، وخطوهم التالية كانت الاستيلاء على المنطقة الواقعة بين كوباني والمنطقة الكردية الثالثة، كانتون عفرين؛ وبذلك فإن الكرد السوريين يرومون توحيد الأقاليم الكردية المستقلة وتأسيس كردستان موحدة في سوريا، بالنسبة إلى المسؤولين الأتراك فإن المشكلة الكبرى من كل ذلك تكمن باحتمالية استيلاء الكرد على جرابلس المدينة الاستراتيجية الحدودية الواقعة إلى الغرب من نهر الفرات قرب المدينة المهمة كوباني، ويخشى المسؤولون الكرد من أن استيلاء الكرد على تلك المدينة سوف لا يساعد الكرد على ضم عفرين إلى كوباني فحسب، بل سيمكنهم من قطع الطريق التجاري المهم إلى بقية الشرق الأوسط أيضاً.

وقد اجتمع المجلس الوطني الكردي في بداية تموز/يوليو عام ٢٠١٥ لبحث التداعيات التي يمكن أن تتور جراء المكاسب الكردية في سوريا، وأعلن إن العمليات الكردية ضد جرابلس هي خط أخطر بالنسبة لتركيا، وفي حسابات تركيا فإن السبيل الوحيد لوقف التوجه الكردي إلى الغرب من الفرات، هو أن يكونوا جزءاً من التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة ضد داعش وعلى أمل أن تقوم الولايات المتحدة بوقف

92 - Ian Bremmer, "These 5 Stats Explain Turkey's War on ISIS—And the Kurds," Time, 31 July 2015.

93 -Ibid.

الطموحات الكردية للاستيلاء على الغرب من الفرات ٩٤، وأن تركيا قد أدركت المكاسب السريعة قد حققها الكرد، وتفهم إن دعم الجهاديين لن يوقفهم؛ لذا كان السبيل الوحيد لتركيا لمنع الكرد من تحقيق المزيد من التقدم هو التفاوض مع الولايات المتحدة. وعلى هذا فتحت تركيا قواعدها على أمل أن تحول دون استيلاء الكرد على المنطقة الواقعة إلى الغرب من كوباني.

وبالمحصلة فإن قرار تركيا في دعم التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة ضد داعش لا يمثل تحولاً رئيساً في سياستها المتصلة بالجهاديين بقدر ما يمثل نتيجة لتغير الأولويات من الإطاحة بالأسد أولاً، وثانياً لمنع الكرد الحصول على مكاسب، إلى الوقوف بوجه الكرد في المقام الأول، وإعادة النظر فقط في الموقف من الأسد ثانياً، وإذا ما كان هناك تحول كبير في السياسة التركية فيما يتصل بالجهاديين فستكون التدايمات المحلية من قبيل إلزام الدولة التركية بالقيام بعمليات ضد داعش والشبكات الجهادية الأخرى ضمن حدودها، ومع ذلك وعلى الرغم من الطلبات الرسمية من عوائل الأطفال الذين التحقوا بداعش فان مسؤولي الشرطة والأمن التركي لم يفتحوا أي تحقيقات ٩٥. وعلى الرغم من أن تقارير الصحافة التركية تشير إلى أن الشرطة التركية تنصت على اتصالات لمتشددى داعش، بما فيها الاتصالات المتعلقة بالفتجيرات الانتحارية إلا أنه لم يتم أي عملية اعتقال ٩٦.

الخلاصة:

إن الدعم التركي للجهاديين ليس مجرد تكتيك يهدف لتنحية بشار الأسد من السلطة فحسب كما يوضح ذلك الدبلوماسيون الأتراك، بل هي تستند إلى قرار استراتيجي يتبناه جانب من السلطات التركية للتأثير بشؤون الشرق الأوسط من خلال الفواعل من غير الدولة كما فعلت إيران ذلك ردحاً من الزمن، والتسامح التركي ودعم الجهاديين للعبور إلى سوريا وتأسيس روابط وثيقة مع حماس والإخوان المسلمين هو الوجه الآخر المتصل بتلك الاستراتيجية. وفي الوقت نفسه فإن السلطات التركية سمحت للمتعاطفين مع القاعدة لاستخدام وسائل الإعلام التركية للترويج لمعتقداتهم وتوسيع شبكاتهم وتوسيع نشاطاتهم بالجمل، وهم تبنا لغة سياسية جديدة تغذي المشاعر المعادية لأمريكا والغرب.

إن زيادة عدد مدارس (إمام-خطيب) أنتجت آلاف من "الشباب المتدين" على حدّ تعبير أردوغان الذين يكمن توجههم الرئيس في العداء للغرب وليس لغرض الدين، والمدعون الذين حاولوا منع شحنات الأسلحة إلى الجماعات المنضوية إلى القاعدة في سوريا قد تم طردهم، وفي بعض الحالات تم سجنهم، وفي الحقيقة من خلال ترهيب الادعاء العام والشرطة الوطنية التركية (TNP) ولم تحصل أي

94 - "Firat'ın batısı kırmızı c, izgi," Milliyet, 1 July 2015.

95 - "O'glu Is, id Bombacı Olan Bir Anenin L_syam;" Dogan Haber Ajansi, 14 October 2015.

96 - Fırak Kozok, "Polis bombacıları biliyordu," Cumhuriyet, 16 October 2015.

عملية لمكافحة الإرهاب لكبح شبكات القاعدة أو الأنشطة المتصلة بتجنيد مقاتلين جدد، ومنظمة الاستخبارات الوطنية التركية (TNIO) السرية أعطت المسؤولية الكاملة للتعامل مع الأنشطة الجهادية من دون أية رقابة فعالة وإحجام الشرطة عن المجازفة والدخول في أراضيهم .

دعونا نستعرض تأثير الطرق التي تتبعها تركيا لاستيعاب الجهاديين على الأمن الأوروبي:

أولاً: إن تركيا قد أصبحت ملاذاً آمناً للعديد من الجهاديين الأوروبيين، الذين يعبرون إلى تركيا بحرية، ويننون شبكات داخل تركيا، ويقومون بتجنيد جهاديين جدد وتدريبهم، ومن دون التعاون التركي ولاسيما فيما يتصل برفض منظمة الاستخبارات الوطنية التركية (TNIO) فإن تبادل المعلومات مع الشركاء الغربيين ومنظمات تطبيق القانون في أوروبا لا تستطيع تعقب أنشطة الجهاديين في تركيا.

ثانياً: في الوقت الذي يختلف فيه خبراء القانون على الكيفية التي يتم فيها نشر الأفكار المتطرفة بين صفوف الشباب المسلم، إلا أنهم يؤكدون جميعهم على أهمية ديناميكيات الجماعة، وبعبارة أخرى إن التجنيد والتلقين الذي تتبناه الشبكات الجهادية هو عامل حاسم في هذه العملية، فعلى سبيل المثال أن الشبكة التي أسسها حليس باينكوك -التي تم الإشادة بها كثير من قبل الإعلام المؤيد للحكومة (ينظر أعلاه)- قامت بعمليات تجنيد نشطة للجهاديين بين الجالية التركي في أوروبا .

ثالثاً: جهود قادة حزب العدالة والتنمية (AKP) في تغذية الخطاب المعادي للغرب جعل الحوار مع المجتمعات الغربية يمثل إشكالية متزايدة.

رابعاً: أن تركيا سمحت للشبكات الإسلام العالمي ولاسيما الإخوان المسلمين في العمل في إسطنبول وصحيح أن الإخوان هي ليست منظمة متطرفة بحد ذاتها إلا إن أيديولوجيتها تلهم المتشددون في الخارج كالقاعدة وحماس، وأن سعي أردوغان المعلن للمظالم التي يتعرض لها الإخوان المسلمون في مصر يتعارض وبنحو مباشر مع الروابط الودية المتنامية بين الغرب ونظام السيسي، وساعدت أيضاً على تطرف الإخوان المسلمين والمتعاطفين معها في أنحاء العالم، ولا يبدو من غير الواقعي التنبؤ أنه وكنتيحة لسياسات الحكومة التركية، فإن الجيل القادم من الجهاديين الذي ترعرع وتم تنظيمه في تركيا هو نفس الجيل الأول الذي نشأ في السعودية؛ لذا فإن نظام حزب العدالة والتنمية (AKP) من حيث يعرف لا يشكل تهديداً خطيراً للأمن الأوروبي.

رابط الدراسة:

<http://www.tandfonline.com/action/journalInformation?journalCode=uter20>